النجوم
في القرآن الكريم

إعداد الباحثة

الدكتورة

أمل أحمد غلوش

مدرس التفسير

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

جامعة الأزهر بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبد الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على من جعله هاديا ومبشرا ونذيرا

أما بعد ؛؛؛؛؛

فقد أرسل الله تعالى نبيه ﷺ لهداية الناس إلى الدين الحق ، وإرشادهم إلى الصراط لمستقيم ، وأيده بمعجزات من عنده ، تقنعهم برسالته ، وتدفعهم لاتباعه وتؤكد لهم صحة كلامه ، وصدق دعوته .

وكانت معجزة القرآن الكريم معجزة عقلية يمتد إعجازها ما بقيت السموات والأرض ، ويتجاوز تأثيرها حدود الزمان والمكان ، تخاطب العقول ، وتبهر الأبصار ، بما يعجزها من العلم والحكمة .

فلا يمر عصر من العصور إلا وتظهر للقرآن الكريم معجزة جديدة تدل على صحة دعواه ، وصدق فحواه .

وقد جاء إعجاز القرآن الكريم شاملا ، متعددا ، يظهر في فصاحة لفظه ، وبلاغة أسلوبه ، وفي ثراء معانيه ، واتساع علومه ، وتعدد مجالاته البلاغية ، واللغوية ، والتشريعية ، والتاريخية ، والعلمية .

وقد أشبع العلماء ألوان الإعجاز تأليفا وحديثا ، وامتلأت بها عشرات التفاسير ،ومع ذلك فإن الإعجاز العلمي لازال شابا فتيا ، يحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة .

ولعل ذلك راجع إلى أن العلوم ذات طبيعة تراكمية ، تتوسع باستمرار مع التقدم والتطور في العلم ، ففي كل زمان يتقدم العلم ، ويكتشف جديد ، يقرر نظرية ويلغي أخرى ، وفي كل مرة يكتشف العلماء سبق القرآن الكريم إلى التوصل إلى بعض هذه الحقائق العلمية ، التي أولاها بالحديث ، مما يشهد له بالإعجاز العلمي .

ومن هنا تشتد الحاجة إلى الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وتفسير الآية ذات الطبيعة العلمية تفسيرا تحليليا في ضوء

ضوابط التفسير العلمي للقرآن الكريم التي يمكن تحديدها فيما يلي :

١) **أن تكون القضية العلمية محل الحديث قد ثبتت كحقيقة علمية** : وصارت لها دعائم يطمئن إليها أهلها ، وليست مجرد فروض ونظريات .

ولا يعارض ذلك ما قد يطرأ على أي قضية من تغيير على الأمد البعيد ؛ لأن التفسير في حقيقته اجتهاد بقدر الطاقة البشرية ، والله سبحانه الذي خلق الإنسان ويعلم ما فيه من ضعف ، وما يطرأ على عمله من قصور وتغيير وهو الذي وجهه إلى النظر في الكون بقوله

ﷻ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١] وهو الذي أمره بالتدبر في القرآن الكريم بقوله ﷻ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢] . وبقوله ﷻ :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٣] .

فهل يطلب من الإنسان بعد ذلك أن يتغافل عما هداه إليه بصره وعقله؟!

إن الحل : أن ينطلق العقل في تأمله وتدبره ، دون أن يقطع بمعنى الآية ، حتى تستقر القضية العلمية ، وتساق الأدلة والشواهد على صحتها ، في الوقت الذي ذكرت فيه ، فإذا تغيرت الحقيقة العلمية بعد ذلك ، فلن يضار ذلك القرآن الكريم بشيء ، وإنما معناه أن الإنسان أخطأ في تفسيره .

٢) **أن تتلاقى تلك الحقيقة مع الألفاظ القرآنية في أصلها اللغوي** الثابت في زمن نزول القرآن الكريم ، وحتى وإن اختلف مدلولها العلمي عن سائر المدلولات التي ذكرها المفسرون ، ذلك أن مدلولات الألفاظ تتطور بتطور العصور ، وتطور العلوم ، وتعدد تخصصات المفسرين .

يقول د / يوسف القرضاوي : وأود أن أنبه هنا على قضيه مهمة جدا ، وهي أن اللغة التي يرجع إليها ، ويؤخذ بها هي : اللغة المعروفة في

---

(١) سورة يونس الآية : ١٠١ .

(٢) سورة ص الآية : ٢٩ .

(٣) سورة القمر الآية : ١٧ .

عصر نزول القرآن ، والعبرة بما تدل عليه الألفاظ في ذلك العصر لا بالدلالات الحادثة بعد ذلك ، فكثيرا ما تتطور دلالات الألفاظ والجمل ، والتراكيب ، بتطور العصور ، وتطور المعارف والعلوم ، واتصال الشعوب والحضارات ببعضها البعض ، ويدخل العرف أو الإصلاح أو غيرهما بإعطاء دلالات جديدة للألفاظ والجمل ، لم تكن لها في عصر النبوة ، فلا يجوز أن نحكم هذه الدلالات الجديدة في فهم معاني القرآن الكريم [1]

٣) **توظيف الآيات ذات الطابع العلمي في خدمة الأهداف العليا للقرآن** الكريم ، من حيث كونه هداية ربانية شاملة للعقائد ، والعبادات ، والمعاملات، والأخلاق ، بحيث يدفع المسلمين إلى التمسك بتعاليمه، ويدفع غير المسلمين إلى الإيمان بما يرون فيه من إعجاز ، ودقه تبهر العقول ، وذلك يتطلب عدم تصوير القرآن الكرم على انه كتاب علم تجريبي يحوي كل العلوم ، وإنما هو كتاب سماوي ، يحوي إشارات علمية تتماشى مع هدفه الذي أُنزل من اجله .

٤) **عدم التكلف في تفسير الآيات** ، وتحميل أعناقها ما لا تحتمله من معنى ، وذلك يحتاج إلى معرفة المعاني المتعددة لألفاظ القرآن الكريم ، وأولاها في الاختيار في إطار المعنى الكلي ؛ لأن لكل كلمة مع صاحبتها مقام .

٥) **تتبع التطور العلمي لمفهوم الكلمة** ، وعدم اتهام علماء الأمة بالجهل أو التقصير في مرحلة ما ؛ لأن مفاهيمهم كانت مرتبطة

---

(1) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ؟ : د . يوسف القرضاوي ص٢٣٢ .

بعصرهم ، وباستفادتهم بالسابق ، وعدم تصورهم التام للمستقبل وما يقع فيه .

يقول د / يوسف القرضاوي : من شروط استخدام العلوم في التفسير...

ألا يحمل الرأي أو التفسير العلمي اتهاما للأمة كلها ، طول تاريخها كله، وفيها خير القرون من الصحابة والتابعين ، والاتباع ، والأئمة الكبار في كل فن – بأنها لم تفهم القرآن الكريم ، إلى أن جاء هذا العالم في زماننا ، فعلمها ما كانت تجهل من كتاب ربها ، .

فمقتضى هذا الكلام : أن الله تعالى أنزل على الناس كتابا لم يفهموه ، ولم يعرفوا مراد منزله منه ، مع أنه تعالى وصفه بأنه :﴿ نُورٌ ﴾

﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ وأنه ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [1]

ذلك أن الكلمة القرآنية كلمة ثرية ، يفهمها العرب في زمنهم بمعنى ، ويستخرج منها المفسرون في كل زمان معان جديدة ، تحتملها الكلمة القرآنية ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [2] .

فليس كل ما يخبر به القرآن يعلم معناه بصورة جازمة ، في زمن نزوله ، وإنما يكتشف العلماء معان أخرى للكلمة ، يستعينون بها في فهم ما جد من معان في تفسير للقرآن الكريم .

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم : د . يوسف القرضاوي ص٣٨٣ .

(٢) سورة ص الآية : ٨٨ .

يقول النبي ﷺ في وصف القرآن الكريم : (**ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد**) [1] .

وتظهر أهمية التفسير العلمي للآيات القرآنية عندما يعرض المرء لآيات من القرآن الكريم تتناول قضايا علمية بحتة ، كونية كانت أو إنسانية ، أو غير ذلك ، ويرى في تفسير المفسرين ما يتعارض مع ما يعرفه من حقائق علمية ، فيضطر للبحث في ضوء تلك الضوابط ، موفقا أو مرجحا ، آملا في إزالة اللبس ، وكشف الخلط .

وقد وقع لي هذا ، عندما كنت أفسر سورة النجم ، لطالبات الكليات الخارجية ، فاستوقفني تعريف المفسرين للنجم بأنه : " **الكوكب الذي يبدو لامعا في الأفق ليلا** " .

فسألت نفسي : وهل النجم هو الكوكب ؟!

كيف وقد درست في مادة العلوم أنهما متباينان ؟ !

وهل هذا خلط من قبل المفسرين فقط ؟ ...، أم أن القرآن استعمل أحدهما في معنى الآخر لسبب ما ؟

فكان أن قررت أن ابحث في العلاقة بين النجوم والكواكب ، ونظرة القرآن لهما ، فجمعت الآيات التي تتحدث عن النجوم ، وتلك التي تتحدث عن الكواكب ، وبدأت أبحث في تفسيرهما لأصل لقاعدة تحدد العلاقة بينهما ، فأبهرتني دقة القرآن الكريم ، فما من آية ذكر فيها لفظ النجم ،

([1]) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب : فضائل القرآن ،باب : أخبار في فضل القرآن ، حديث رقم : ١/٥٥٥ ، وقال حديث صحيح ولم يخرجاه .

إلا وعنى النجم بخصائصه ومميزاته ، وما من آية ذكر فيها الكوكب ، إلا وأصاب المعنى المقصود ، مما دفعني لتناول النجوم بالدراسة الموضوعية من خلال القرآن الكريم ، هادفه إلى التعرف على خصائصها، ومنافعها ، ومراحل تطورها ، فوجدت الإعجاز الذي يشهد لهذا القرآن ، بما بينه الله تعالى في قوله ﷻ : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١)

لقد سبق القرآن الكريم علماء العصر الحديث ، في التوصل إلى حقائق علمية ، لم يتوصلوا إليها إلا بعده باربعة عشر قرنا ، وعبر عنها بمنتهى الدقة اللغوية ، التي تدرج الناس في تفسير دلالتها عبر العصور، في حين ظل معنى القرآن الكريم ساميا ، شامخا ، عاليا ، وأنه من تنزيل الحكيم الذي لا يوجد شيئا عبثا ، ولا لعبا ، بل لحكمة وغاية .

وقد ربط سبحانه وتعالى حديثه عن النجوم ، بما ينبئ عن وجود أسرار ، ومقاصد وراء ذكرها في القرآن الكريم .

فكان أن قررت أن أكتب عن النجوم تحت موضوع :

النجوم
في القرآن الكريم

وقد ظهرت لي أهمية الموضوع ، وتجلت لي فائدة دراسته فيما يلي :

---

(١) سورة فصلت الآية : ٤٢ .

١) **حديث القرآن الكريم عن النجوم** ، وتسمية سورة بأكملها باسم " سورة النجم " ، يدعو للتأمل في الآيات ، ومحاولة فهمها لاستخراج أسرارها ، واستنباط مقاصد القرآن الكريم منها .

٢) **تصحيح معلومات المفسرين القدامى عن النجوم** ، فقد فسرو الآيات بما علموه في زمنهم ، وأحاطت به معارفهم ، وبما مكنتهم منه طبيعة العلوم المتاحة أمامهم ، ومع تطور العلم وصعود الفضاء ، أمكن كشف حقائق جديدة ، تساعد على تفسير الآية تفسيرا أدق وأعمق.

٣) **إبراز إعجاز القرآن الكريم وتفوقه العلمي** ، حيث سبق العلم الحديث بقرون عديدة في الوصول لحقائق علمية ، والتعبير عنها بعبارات دقيقة ، لم يعرف تأويلها إلا حديثا .

٤) **إضافة بعد آخر للمقاصد** ، فأكثر من كتبوا فيها كان حديثهم مقتصرا على مقاصد الشريعة عامة ، ولم يتطرقوا إلى المقاصد العامة للقرآن الكريم ، إلا في إشارات متناثرة في ثنايا الكتب [1] بالرغم من الدراسات الكثيرة المتعلقة بالقرآن الكريم من النواحي اللغوية ، والبلاغية ، والنحوية، والتفسيرية ، والفقهية .

وحتى البعض الذين كتبوا عن مقاصد القرآن جعلوا حديثهم عن مقاصده التشريعية ، وأغفلوا الحديث عن مقاصده من الآيات الكونية ،

---

(١) وفي العصر الحديث تحدث عنها د . يوسف القرضاوي في فصل مستقل في كتابه " كيف نتعامل مع القرآن العظيم "

على الرغم من أن البيان القرآني مليء بأساليب التعليل ، وبيان الغايات والحكم في سياق الآيات العلمية .

كما أن الذين كتبوا عن التفسير العلمي للقرآن الكريم ، فسروا الآيات تفسيرا علميا ، دون أن يربطوا ببين الظواهر العلمية ، وأهداف القرآن الكريم التي تهدف إلى حث المكلف على الامتثال وسرعة التجاوب مع روح المعاني .

وقد خرج البحث مكونا من مقدمة وفصلين وخاتمة .

أما المقدمة فتشمل : التعريف بالموضوع وأهميته ، وضوابط التفسير العلمي ، ومنهج البحث ، وأهم محتوياته .

وأما فصول البحث فكانت على النحو التالي :

الفصل الأول : ويتحدث عن النجوم في القرآن الكريم .

ويضم أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالنجوم .

المبحث الثاني : المصطلحات ذات الصلة بالنجوم .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :تعريف الكواكب .

المطلب الثاني : تعريف البروج .

المبحث الثالث : صفات النجوم في القرآن الكريم .

المبحث الرابع : منافع النجوم .

الفصل الثاني : مقاصد ذكر النجوم في القرآن الكريم .

ويتألف من تمهيد وأربعة مقاصد ، ويضم عدة مباحث.

المبحث الأول : تنمية العقل وإعماله.

المبحث الثاني : إثبات ربوبية الله واستحقاقه للعبادة .

المبحث الثالث : تقريب الحقائق الدينية .

المبحث الرابع : منّ الله على العباد .

أما الخاتمة : فقد ضمنتها أبرز النتائج ، والتوصيات التي خرجت بها من البحث .

وقد سرت في البحث على المنهج التالي :

١) جمعت عناصر الموضوع من خلال الآيات القرآنية ، متتبعة المنهج الاستقرائي .

٢) فسرت الآية تفسيرا تحليلا ، بصورة تجمع بين الآية والعنوان المختار لها .

٣) اتبعت في تفسير الآيات ذات العلاقة بالنواحي العلمية ، المنهج التحليلي ، حيث عرضت أقوال المفسرين ، وشرحتها ، مبينة أدلتها التي اعتمدوا عليها في التفسير ، وذكرت رأي العلم الحديث ، ثم رجحت بينهما من خلال الرجوع إلى اللغة العربية ، إذ هي اللغة التي نزل بها

القرآن الكريم ، فينبغي أن يفهم القرآن الكريم من خلال لفظها ومدلولها في عصر النزول ، وفي هذا منهج مقارن مع المنهج التحليلي .

٤) رجعت إلى المصادر الحديثة من خلال الشبكة المعلوماتية (النت) للاطلاع على مواقع العلماء المهتمين بالشؤون الكونيـــة ، فضـــلا عـــن معاجم العلوم ، والموسوعات الحديثة .

هذا وقد بذلت جهدي أملا في خدمة كتاب ربي ، وإظهار دقته وشموله، وإعجازه وعظمته .

فأسال الله تعالى أن أكون قد وفقت

فما أصابني من توفيق وإصابة فمن فضله ﷻ ، وما أصابني من خطأ وسهو فمن نفسي والشيطان .

والله من وراء القصد ، وهو حسبي ، ونعم الوكيل .

الباحثة

الفصل الأول

التعريف بالنجوم وبعض المصطلحات المتصلة بها في القرآن الكريم

ويضم أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالنجم .

المبحث الثاني : المصطلحات ذات الصلة بالنجوم .

المبحث الثالث : صفات النجوم في القرآن الكريم .

المبحث الرابع : منافع النجوم .

المبحث الأول

تعريف النجم

يتكون المبحث الأول من عدة مطالب ، تتناول التعريف بالنجم ، والمصطلحات ذات الصلة بالنجم ، وصفات النجوم في القرآنالكريم ، ومنافع النجوم ، بحيث يتناول كل مبحث مطلبا وذلك فيما يلي :

المطلب الأول

تعريف النجم لغة

يقول ابن منظور : نجم الشيء يَنْجُم بالضم ، نجوما : طلع وظهر ، ونجم النبات والقرآن والكوكب وغير ذلك طلع ...

وقال أهل اللغة : النجم بمعنى النجوم ، والنجوم تجمع الكواكب كلها .

ابن سيده : والنجم الكوكب [١].

ويقول الزمخشري : " طلع النجم والأنجم والنجوم ، وكبَّد النجم أي الثريا، **ونجمت الكواكب** : أي طلعت ، ونجم فلان تنجميا أي : قضى في النجوم ، ونجَمنا الأسد والسماك : انتظرنا طلوع نجمه .

ومن المجاز : ينجم النبات ، والباب ، والقرآن ... وفلان ينظر في النجوم : إذا تفكر كيف يصنع ... وأنزل القرآن نجوما" [٢] .

---

(١) لسان العرب مادة (ن .ج . م) – وينظر الكتاب : كتاب سيبويه .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري مادة (ن . ج . م) .

ومن هذه التعريفات يتبين أن : النجم في اللغة يدل على الطلـــوع والظهور .

المطلب الثاني

تعريف النجم عند المفسرين

اهتم المفسرون ببيان المقصود من النجم في القرآن الكريم .

فقال ابن عاشور : " النجوم جمع نجم ، والكوكب ، أي الجسم الكروي المضيء في الأفق [١] ليلا ، الذي يبدو للعين صغيرا " [٢]

ويقول الراغب : " أصل النجم الكوكب الطالع ، وجمعه نجوم " [٣] .

ويقول ابن الجوزي : " النجم في مطلق التعارف الكوكب ، وجمعه نجوم، وقيل : سمي نجما لظهوره " [٤]

من هذه التعاريف يظهر خلط المفسرين بين النجم والكوكب ، وأنهم يعرفون أحدهما بالآخر .

---

(١) الأفق : ما ظهر للعين من نواحي الفلك وأطراف الأرض – لسان العرب مادة " أفق "

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٢٢/١٤

(٣) المفردات للراغب ص٤٨٣.

(٤) الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي

المطلب الثالث

التعريف العلمي للنجم

النجم : جرم سماوي ، غازي المادة ، ولكنه متماسك بقوة الجاذبية ، عظيم الكتلة والحجم ، ملتهب ، شديد الحرارة ، مضيء ذاتيا [1]

ويقول د / زغلول النجار: " النجوم أجرام سماوية ، شديدة الحرارة ملتهبة، مشتعلة ، مضيئة بذاتها ، يغلب على تكوينها غاز الإيدروجين ، ويليه في الكثرة غاز الهليوم ، والقليل من العناصر الأخرى الأثقل وزنا"[2] .

وبهذا يتضح أن للنجم خصائص معينة تميزه عن غيره ، وهي التي ذكرها العلماء في العريف .

كما يتضح أن مفهوم النجم عند علماء اللغة والمفسرين لم يزد عن كونه هو الكوكب لقصور التطور العلمي عندهم يومذاك .

---

(1) الدعوة على الله من خلال منظور العلم في القرآن الكريم : د . سناء أمين .

(2) تفسير الآيات الكونية ٤/٤٠٠ ، ٤/١٢٦ .

المبحث الثاني

المصطلحات ذات الصلة بالنجوم

ارتبط الحديث عن النجوم عند المفسرين ، بالحديث عن بعض الأجرام الفلكية التي خلطوا بينها وبين النجوم .

ومن هذه الأجرام الكواكب ، البروج ، ولذا ظهرت الحاجة إلى تحديد المعنى المقصود من كل منهما ، لإزالة هذا الخلط ، وتحديد المراد من النجم الذي يتناوله البحث ، وذلك من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول

الكواكب

أولاً : تعريف الكوكب (لغة) :

الكواكب جمع مفرده كوكب ، وقد عرفه العلماء لغة واصطلاحا ، وهي كما يلي :

يقول ابن منظور : " الكوكب معروف وهو أحد كواكب السماء ، يشبه به النور ، فيسمى كوكبا. **قال ابن سيده وغيره** : الكوكب والكوكبة يذكر ويؤنث هو النجم [١].

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة " كوكب "

وفي المعجم الوسيط : " كوكب الحديد : برق ، وتوقد ... الكوكبة : النجم أو الزهرة من بين النجوم " [1] .

وفي القاموس المحيط : " الكوكب : النجم كالكوكبة " [2]

ثانياً : التعريف العلمي للكوكب :

يقول د / زغلول النجار : " الكوكب جسم كروي من أجرام السماء ، يدور حول ذاته ، ويجري في مدار محدد له حول الشمس " [3]

وعدد الكواكب تسعة هي :- **أربعة داخلية هي** : عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ . **وأربعة خارجية** : المشترى، زحل ، يورانوس ، نبتون، بلوتو .

إلا أنه قد تم اكتشاف كوكبين آخرين في المجموعة الشمسية ، ليصل مجمل عددها إلى أحد عشر كوكبا .

ثالثاً : الكواكب في القرآن الكريم :

جاء لفظ الكوكب في القرآن الكريم في أكثر من آية :

١) يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ [4]

---

(1) المعجم الوسيط ، مادة (ك . و . ك) ، طبعة ثالثة

(2) القاموس المحيط للفيروزي آباد ، مادة كوكب .

(3) تفسير الآيات الكونية : ١ / ٣٦٤ .

(4) سورة الأنعام الآية : ٧٦.

٢) ويقول ﷻ : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ (١)

٣) ويقول ﷻ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (٢)

٤) ويقول ﷻ : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ . (٣)

٥) ويقول ﷻ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ (٤)

وقد أخذ المفسرون في تفسير المراد بـ (الكوكب) على الوجه التالي :

١) **عدم تعرض البعض لمعنى الكوكب** : وذلك مثل ما حدث من الإمام الطبري ، إذ يقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿رَءَا كَوْكَبًا ﴾ :" أبصر كوكبا عندما طلع " (٥) .

---

(١) سورة يوسف الآية : ٤ .

(٢) سورة النور الآية : ٣٥ .

(٣) سورة الصافات الآيتان : ٦،٧ .

(٤) سورة الانفطار الآيتان : ١، ٢ .

(٥) تفسير الطبري ٥/٢٤٤ .

- ويقول عند تفسير قوله ﷻ : ﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ : " إن العرب تسمي الكوكب العظام الدراري" [1] .

٢) استعمال كلمة النجم في موضع الكوكب والعكس :

يقول الرازي : " استدل بأفول ذلك النجم الدري " [2]عند حديثه عن معنى قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ [3] . فهذا من استعمال كلمة النجم لتفسير الكوكب ، وتقدم عند بيان معنى النجم عند المفسرين ، استعراض النصوص التي تظهر إطلاق لفظ الكوكب على النجم ، وهو أمر مشابه لصنيع اللغويين

٣) تفصيل بعض المفسرين بعض الأمور الفلكية الخاصة بالكواكب : يقول الرازي في تفسير قوله ﷻ : ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ : دري أي : ضخم مضيء ، واتفقوا على أن المراد به كوكب من الكواكب المضيئة كالزهرة والمشترى " [4] .

- ويقول في تفسير قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾" إن الكواكب زينة للسماء من وجوه :

---

(١) تفسير الطبري ٩ / ٣٢٦ .

(٢) الدراري : مأخوذة من الدرء بمعنى الدفع ، ثم أبدلت الهمزة ياء فصارت دري ، ومعنى كوكب دري : مندفع في مضيه من المشرق إلى المغرب لسان العرب مادة درأ

(٣) سورة الأنعام الآية : ٧٦ .

(٤) مفاتيح الغيب للرازي : ١١ / ٥٨٧ .

الأول : أن النور الضوء أحسن الصفات وأكملها ، فإن تحصل هذه الكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك ، لا جرم بقى الضوء والنور في جرم الفلك ، بسبب حصول هذه الكواكب فيها .

الثاني : أن الإنسان إذا نظر في الليلة الظلماء إلى سطح الفلك ، ورأى هذه الجواهر الزواهر مشرقة ، لامعة ، متلألئة على ذلك السطح الأزرق ، فلا شك أنها أحسن الأشياء وأكملها .

ثم يكمل الرازي في تفسير قوله ﷻ : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ فيقول :" فقال ابن عباس : يريد حفظ السماء بالكواكب .

وهنا سؤال : هذه الشهب هل هي من الكواكب التي زين الله تعالى السماء بها أم لا ؟

لأن هذه الشهب تبطل وتضمحل ، فلو كانت هذه الشهب هي الكواكب الحقيقية ، لوجب أن يظهر نقصان كثير من أعداد كواكب السماء .

ومعلوم أن هذا المعنى لم يوجد البته ، فإن أعداد كواكب السماء باقية على حالة واحدة من غير تغير البته .

وأيضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان في زينة السماء ، فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض " [1] .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٧/٢٥ : ٢٠١ ، التحرير و التنوير ٢٣/ ٨٩ .

وقد أجاب الإمام الرازي عن هذا السؤال الذي طرحه في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [1] .

فقال : " ليس معنى رجم الشياطين هو أنهم يرمون بأجرام الكواكب ، بل يجوز أن ينفصل من الكوكب شعل ترمي الشياطين بها ، وتلك الشعل هي الشهب ، وما ذاك إلا قبس يؤخذ من نار والنار باقية [2] .

كما يقول الإمام الرازي في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ : " عند انتقاص تركيب السماء لابد من انتثار الكواكب وذلك قبل يوم القيامة ؛ لأن الكون كله يزول وينتهي ." [3] .

أما ابن عاشور فيقول في تفسير قوله ﷻ : ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ : " كان قوم إبراهيم قوما صابئيين ، يعبدون الكواكب ، ويصورون لها أصناما ، وتلك ديانة الكلدانيين قوم إبراهيم .

وظاهر قوله : ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ : أنه ﷺ حصل له رؤية الكواكب ، عرضا من غير قصد التأمل ، وإلا فإن الأفق في الليل مملوء بالكواكب ، وإن الكوكب حين رآه واضحا في السماء كان مشرقا بنوره ، وذلك أبرز ما

---

(1) سورة الملك الآية : ٥ .

(2) مفاتيح الغيب ٣٠ / ٦١٤ .

(3) مفاتيح الغيب ٣١ / ٢٤٨ .

يكون في وسط السماء ، فالظاهر أنه رأى كوكبا من بينها شديد الضوء، **قيل** : إنه الزهرة ، وقيل : المشترى "[١] .

ويمكن استخلاص بعض صفات الكوكب المتفقه مع ما أثبته العلم الحديث من التعاريف السابقة مثل :

١ – **لمعان الكوكب** في قول الرازي: " رأى هذه الجواهر مشرقة لامعه"

٢- **جعل الكواكب رجوما للشياطين** وإن لم يوفق في الوصول إلى الكيفية الصحيحة .

٣- **حصول رؤية الكوكب** عرضا لإبراهيم عليه السلام .

٤- **مسميات بعض الكواكب** الزهرة والمشترى .

وفي مقابل توصلهم لهذه الحقائق وقع منهم بعض الخطأ مثل :

١) وصف الرازي للكوكب في موضع آخر بأنه مضيء ، وقول ابن عاشور : " كوكبا من بينها شديد الضوء " والصحيح أن الكوكب لا يصدر ضوءا ، وإنما يستقبل ضوء الشمس مما يؤدي للمعانه .

٢– قول الرازي أن الكوكب تنفصل منه شعل ترمي بها الشياطين : وهذا المعنى يصح إذا كانت مادة الكوكب غازية كالنجم ، فينفصل منه شهب ، وشعل نارية " ولكن مادة الكوكب صخرية أو غازية متجمدة كما في

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٧/ ٣١٧ ، المحرر ٢/ ٣١٣ ، البيضاوي ٤/ ١٣٥ .

الزهرة [1]، مما يجعل القول بخروج شهب ، أو شعل نارية منه غير صحيح .

٣- قول ابن عاشور " إن الأفق مملوء بالكواكب " غير صحيح ؛ لأن الكواكب لا تظهر في السماء كل ليلة ، نظرا لحركتها المستمرة حول الشمس ، ولا يتفق ظهورها في السماء الدنيا إلا في بعض أشهر السنة[2] وهذا يؤكد صحة ما قاله أولاً : " حصلت له رؤية الكوكب عرضا " ، لأن ظهوره في السماء غير ثابت كل ليلة .

ومن خلال التعريف اللغوي ، وكلام المفسرين ، يمكن إرجاع سبب اللبس الواقع عند المفسرين إلى أمرين :

الأول : اللغة التي تعد المرجع الأول للمفسرين ، والتي لم تقدم بيانا شافيا ، وفاصلا في معنى النجم والكوكب ، مما يساعد على توحيد فهمهم لهما ، مما دفع البعض إلى الاستعانة بأمور أخرى للفهم .

الثاني : التطور في المعرفة العلمية التي جعلت الرازي (ت ٦٠٤) وابن عاشور يحيطان ببعض التفاصيل ، في حين لم يذكر الطبري (ت ٣١٠) أيا منها .

وقد انقسم العلماء في تحديد اشتقاق كلمة " كوكب " إلى ثلاثة أراء :

الرأي الأول :

---

(١) معجم اكسفورد ٩/ ٨ .

(٢) معجم اكسفورد ٩ / ١٤ .

أن أصل الكوكب من (و . ك . ب) ، وأنها صدرت بكاف زائدة عندهم[١] .

وقد عقب أبو حيان على هذا الكلام بقوله : " وليت شعري من حذاق النحويين الذين تكون الكاف عندهم من حروف الزيادة ، فضلا عن زيادتها في أول الكلمة ، والكاف ليست من حروف الزيادة [٢] .

الرأي الثاني :

أن الكلمة كلها أصول رباعية ، مما كررت فيها الفاء فوزنها (فوعل) كـ(حَوْقَل) ، وهو بناء قليل [٣] .

الرأي الثالث :

وساقه الراغب في مادة (ك ب) ، و(ك ب ك ب) فإنه قال : " **والكبكبة** : تدهور الشيء في هوه ، يقال : كب ، وكبكب نحو كف ، وكفكف ، وصر الريح وصرصر ، والكواكب : النجوم البادية [٤]

وقد رد السمين الحلبي هذا الرأي فقال : "وظاهر هذا السياق أن الواو زائدة ، والكاف بدل من إحدى الباءين ، وهذا غريب جدا " [٥] .

---

(١) النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان ٤ / ١٦٦ .

(٢) النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان ٤ / ١٦٦ .

(٣) البحر المحيط ٤ / ١٦٦ .

(٤) المفردات للراغب ص ٤٢٠ .

(٥) الدرر المصون في لطائف الكتاب العزيز للسمين الحلبي ٣ / ١٠٦ .

وجميع هذه الآراء الثلاثة لم تحدد للفظ الكوكب أصلا عربيا قويا ، يمكن الاعتداد به ، مما يدفع إلى القول بعدم عربية الكلمة ، وأن الكوكب لفظ أعجمي، غيرته العرب وألحقته بكلامها ، وجعلته على بناء (فَوعل)، ويؤكد على ذلك انه لا يلحقه تصريف ولا اشتقاق كسائر الأسماء الأعجمية [1].

يقول أبو حيان : والذي أخرجه عليه أن من تكلم بهذا من العرب ، إن كان تكلم به ، إنما سرى إليه من لغة الحبش ، لقرب العرب من الحبش ، ودخول كثير من لغة بعضهم في لغة بعض [2] .

وهنا قد يتبادر على الذهن سؤال : إذا كان لفظ الكوكب غير عربي ، فكيف عرف به العرب ؟!

وفي تقديري إن لهذا السؤال إجابتين :

الأولى : أنهم عرفوا بها عن طريق أبو العرب إسماعيل عليه السلام الذي تعلمها من أبيه إبراهيم عليه السلام ، ونطق بها فأخذها العرب منه ، من دون أن يدركوا شيئا من حقيقته ، إلا أنه جرم سماوي يظهر في السماء مثله مثل النجم .

الثانية : من خلال التعامل مع أهل الشام التي سكنها الكلدانيون ، وقد رحل العرب إليهم في رحلاتهم .

---

(1) ارتشاف الضرب لأبي حيان ١٤٦٠١ ./٢٨

(2) البحر المحيط ، ٤ / ١٦٢ .

قال ﷻ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ (١)

وإذا استعرضنا أشعار العرب ، وخطبهم التي تعد سجلا لحياتهم ، وكلماتهم ، يترسخ هذا الانطباع ، فقد أكثر الشعراء ، والخطباء من ذكر النجوم ، في حين أغفلوا ذكر لفظ الكواكب .

ويدل على ذلك ما جاء في خطبة قس بن ساعدة إذ يقول : " أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت أت ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر " (٢) فذكر النجوم والأبراج ولم يذكر الكواكب .

ويقوي القول بعدم عربية كلمة (الكواكب) عدة شواهد قرآنية منها :

- أن القرآن لم يأت إلى العرب بذكر عندما ذكر لفظ الكوكب ، في حين ذكرهم عند ذكر النجوم فقال : ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣) ،

---

(١) سورة قريش كاملة .

(٢) ينظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للحافظ أحمد بن علي الحكمي ١١٢/١

(٣) سورة النحل الآية : ١٦ .

فنسب إليهم البراعة في الإحاطة بأحوال النجوم ومطالعها ، وقدم الجار والمجرور ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ ﴾ للتخصيص .

يقول البيضاوي : " ولعل الضمير لقريش ؛ لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة ، مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم ، وإخراج الكلام عن سنن الخطاب ، وتقديم النجم ، وإقحام الضمير للتخصيص ، فكأنه قيل : وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون "[1] .

وفي المقابل أورد القرآن الكريم لفظ الكوكب مقترنا بذكر نبيين كريمين، هما إبراهيم عليه السلام ، ويوسف عليه السلام ، وكلاهما من غير العرب .

فقال عن نبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾[2] .

ومن المعروف أن إبراهيم عليه السلام كان مقيما بالعراق ، في زمن الكلدانيين ، الذين كانوا متقدمين في علم الهيئة ، وضبطوا حركات النجوم ومطالعها ومغاربها.

أما يوسف عليه السلام فهو حفيد لإبراهيم عليه السلام نشأ بالشام ، فمن الطبيعي أن ينتقل إليه العلم بالكواكب ، ولذا ورد في القرآن الكريم قوله

([1]) تفسير البيضاوي ٥/ ٥٦٤، ٥٦٥

([2]) سورة الأنعام الآيات : ٧٤:٧٦ .

لأبيه يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (١).

فكلمة الكوكب غير عربية أخذها العرب ، ونطقوا بها من غير أن يدركوا من معناها إلا أنه جرم يلمع ، ويبرق، في السماء ، مثله مثل النجم ، **ثم أطلقوا عليه اسم** " النجم السائح " لما رأوا وجوده في السماء غير ثابت ، وهو أمر توصلوا إليه عن طريق الملاحظة ، والتأمل، نتيجة تنقلهم الدائم في الصحاري طلبا للماء والمراعى .

ومن هنا أوردهما أبو هلال العسكري ضم الكلمات المترادفة عند العرب ، وعني ببيان الفروق بينهما فقال :

إن الكوكب أسم للكبير من النجوم ، وكوكب كل شيء معظمة ، والنجم عام في صغيرها وكبيرها (٢).

وقد ظل العرب على اعتقادهم ، بأن الكوكب والنجم شيء واحد ، إلا في فروق يسيره ، حتى أوائل منتصف القرن الثاني الهجري ، في عهد العباسيين ، عندما ترجموا العلوم الفلكية عن اليونانيين ، وعرفوا المراصد الفلكية والاسطرلاب ، فأمكنهم التعرف على حقيقة الكوكب ، ورصد الفروق بينه وبين النجوم (٣) . ومن هنا تمكن بعض المفسرين

---

(١) سورة يوسف الآية : ٤ .

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٢٤٨ .

(٣) إسهامات علماء المسلمين في الفلك islamstory.com .

وانظر تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى : د . عبد المنعم ماجد ص٢٢٤ : ٢٢٦، طبع مكتبة أنجلو المصرية سنة ١٩٧٣م

الذين تواجدوا بعد هذا الزمن ، واطلعوا على علم الفلك أن يتوصلوا لبعض الحقائق الفلكية عن الكواكب .

خلال الفترة الزمنية الطويلة تأصلت فكرة الترادف بين لفظي النجم والكوكب ، حتى صار الترادف بينهما ظاهرة شائعة في كتابات المفسرين والفلكين العرب .

ومن العجيب استمرار هذه الظاهرة في العصر الحديث، إذ **يقول: محمد رشيد رضا** : " الكوكب والكوكبة واحد الكواكب ، وهي النجوم ، والفلكيون يطلقون المؤنث على المجموعة المعينة منها ، والعرب تطلقه على الزهرة [1] .

إلا أن بعض المفسرين المعاصرين أصابوا في تعريف الكوكب ، مثل ابن عاشور إذ يقول : " الكوكب : الكريات السماوية التي تلمع في الليل [2] .

خامساً : معاني الآيات الوارد فيها لفظ الكوكب :

بعد إزالة اللبس الحاصل بن النجم والكوكب ، والتعرف على المعنى الصحيح للكوكب ، يمكن إعادة فهم الآيات على النحو التالي :

الآية الأولى : قوله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ [3] .

---

(1) تفسير المنار ٦/ ٥٥٦ .

(2) التحرير والتنوير ٢٣ / ٨٧ .

(3) سورة الأنعام الآيات : ٧٦ .

كان قوم إبراهيم عليه السلام ببابل بالعراق ، وكانوا يعبدون الكواكب ، ويصورون لها الأصنام ، وتلك ديانة الكلدانيين قوم إبراهيم عليه السلام.

الذين كانوا من أوائل الذين برعوا في علم الفلك ، فأراد إبراهيم عليه السلام أن يقنعهم ببطلان عبادة الكواكب ، وعدم استحقاقها للعبادة عن طريق النظر والاستدلال [١].

وقد سنحت له الفرصة عندما ظهر أحد هذه الكواكب ليلا ، إذ ليس من عادة الكواكب الظهور الدائم في سماء الأرض ، نظرا لمسارها حول الشمس [٢] .

ويبدو من تنوين كلمة (كَوْكَبًا) أن هذا الكوكب عندما ظهر كان لامعا، يلفت الأنظار بلمعانه ، إذ أن التنوين يدل على تعظيم الشيء ، وهو الأنسب بسياق الآية التي جاءت في المحاجاة والمجادلة ، فإبطال عبادة الأقوى والأعظم في نظرهم ينسحب بالأولى على الأقل شأنا .

وهذا الكوكب قد يكون الزهرة أو المشترى [٣] ؛ لأنهما من أكثر الكواكب لمعانا لطبيعة مادتهما .

وقد قال عليه السلام مجاراة لقومه عندما رآه : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي : في زعمكم ، وذلك ليستدرج القوم بهذا القول ، ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه [٤] .

---

(١) التحرير والتنوير ٤ / ٣١٧ .

(٢) معجم اكسفورد ٩ / ١٤ .

(٣) البحر المحيط ٤/ ٦٦٦ ، المحرر الوجيز ٣١٣/٢ ، تفسير البيضاوي ٤ / ١٣٥

(٤) حاشية الشهاب ٤/ ١٣٦ .

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي غاب ، "والأفول" : عبارة عن غيبوبة الشيء بعد ظهوره [1] .

﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ أي : لا أحب عبادة الأفلين ، حيث كني بعدم المحبة عن عدم العبادة ؛ لأنه يلزم من نفيها نفي العبادة بطريق الأولى لتقاربهما [2] .

وعلق عليه السلام سبب عدم عبادته لهذه الكواكب بالصفة التي وصفها بها ، وهي الأفول .

فالأفول ، والانتقال ، والاحتجاب بالاستتار يقتضي الإمكان والحدوث وهذا مما ينافي الألوهية [3]

الآية الثانية :

قوله ﷺ : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [4]

رأى يوسف عليه السلام في منامه أحد عشر كوكبا ، والشمس ، والقمر وهم له سجود .

---

(1) مفاتيح الغيب للرازي ١٢/ ٣٩٨ .

(2) حاشية الشهاب بتصرف ٤/ ١٣٦ .

(3) تفسير البيضاوي ٤ / ١٣٦ .

(4) سورة يوسف الآية : ٤ .

ولم يتحدث المفسرون قديما عن مدلول الرقم (أَحَدَعَشَرَ) باستثناء بعض الآراء الموضوعة التي لا أصل لها [١]

كما لم يتمكن المفسرون المحدثون من تفسيره :

يقول الشيخ الشعراوي : وكلنا رأى الشمس والقمر ، كل في وقت ظهوره ، لكن حلم يوسف يبين أنه رآهما معا ، وكلنا رأينا الكواكب متناثرة في السماء لا حصر لها ، فكيف يرى يوسف أحد عشر كوكبا

---

(١)عن جابر ﷺ قال : (أن يهوديا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : أخبرني يا محمد عن النجوم التي رأهن يوسف ، ؟ فسكت ، فنزل جبريل ﷺ فأخبره بما سأله اليهودي ، فقال ﷺ إذا اخبرتك فهل تسلم ، قال : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : " النجوم حدثان ، والطارق ، والذبال ، وقابس ، والعودان ، والفليق والنصح ، والقروح ، وذو الكنفان ، وذو الفرع ، والوثاب ، رآها يوسف نزلن من ا لسماء وسجدن له ، فقال اليهودي : أي ، والله إنها لأسماؤها) حديث باطل ،أخرجه ابن حبان في المجروحين ١ / ٢٥٠ ، وابن الجوزي في الموضوعات ١ / ١٤٦ ، وقال ابن حبان : لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ ، ووافقه ابن الجوزي وقال : واضعه يريد شين الإسلام بمثل هذا ، مؤسسة قرطبة

ففسروا الأحد عشر كوكبا ، بالأحد عشر نجما التي في الرواية ، وهي رواية موضوعة حكم ببطلانها الكثير من العلماء .

حيث يقول ابن كثير : تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري ، وقد ضعفه الأئمة ، وتركه الأكثرون . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤/٨

فقط ؟ لابد أنهم اتصفوا بصفات خاصة ميزتهم عن غيرهم من الكواكب الأخرى ، وأنه قام بعدهم [1] .

ومع تطور العلم الحديث توصل العلماء إلى عدد الكواكب ، وتقديرها بأحد عشر كوكبا ، تتفق مع الرقم الوارد في سورة يوسف .

يقول الدكتور / زغلول النجار : ليس من قبيل المصادفة أن يكون عدد إخوة يوسف أحد عشر ، ويكون عدد الكواكب في مجموعتنا الشمسية العدد نفسه [2] .

وهذه الكواكب هي : عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشترى، زحل ، أورانوس ، نبتون ، بلوتو .

أما الكوكب العاشر في الاكتشاف والثامن في موقعه بين الكواكب **فيقول عنه د / زغلول النجار**: " هناك عدد من الجسيمات (الكوبكبات) التي يعتقد أنها ناتجة عن انفجار كوكب كان يجري في هذا المدار بين كوكبي المريخ والمشترى ، وتشكل مجموع هذه الكويكبات ، كوكبا هو الثامن من كوكب المجموعة الشمسية ، ثم تم في عام ٢٠٠٤م الإعلان عن الكوكب الحادي عشر ، وأطلق عليه " سيدنا " [3]

ثم يقول : وقد يحذر دارس من إمكانية اكتشاف كوكب جديد ، ولكن على بعد أكثر من تسعين وحدة فلكية (هي المسافة الفاصلة بين الكوكب

([1]) تفسير الشعراوي : ١١ / ٨٦٤٣ .

([2]) تفسير الآيات الكونية : د زغلول النجار ١/ ٣٦٣ .

([3]) تفسير الآيات الكونية ١/٣٦٢ ، ٣٦٣ بتصرف .

الحادي عشر والشمس) يتعذر على جاذبية الشمس الإمساك بأحد الأجرام السماوية التي ينطبق عليه وصف الكوكب " [١] .

الآية الثالثة :

قوله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٢] .

يشبه الله سبحانه وتعالى ، نوره المتعاظم في السموات والأرض بالنور الذي في المشكاة ، لبيان شدة ضوئه وصفائه .

وقد ركب سبحانه المشبه به من عدة تشبيهات ، كل منها يفيد في إفادة شدة الضوء وكماله .

فكونه في مشكاة : أي قنديل ، اجمع للضوء ، بخلاف إذا ما تفرقت أجزاؤه ، وكون المصباح في زجاجة ، يجعل الأشعة المنفصلة عن المصباح ، تنعكس من بعض جوانب الزجاجة إلى البعض ، فيزداد الضوء والنور ، لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية .

ثم يشبه سبحانه الزجاجة المحيطة بالمصباح ، بالكوكب الدري ، للدلالة على تعاظم الضوء وشدته ، إذ أن من طبيعة الكوكب أن يستقبل

---

(١) تفسير الآيات الكونية ١ / ٣٦٤ .

(٢) سورة النور الآية : ٣٥ .

ضوء الشمس ويعكسه فيتعاظم الضوء ، ويبدو الكوكب مشرقا لامعا ، وهذا أظهر ما يكون في كوكب الزهرة لطبيعة مادته .

ولذا فسر به المفسرون الكوكب الموجود في الآية :

فيقول الرازي : " (دُرِّيٌّ) أي ضخم مضيء ، واتفقوا على أن المراد به كوكب من الكواكب المضيئة كالزهرة والمشترى " [1] ، وسمي بذلك لأنه يشبه الدر في صفائه ولمعانه .

وقد سبق القول إن الكواكب غير مضيئة بنفسها كالشمس ، ولكنها عاكسة للضوء فتبدو للناظرين وكأنها مضيئة .

فالغاية من التشبيه بيان شدة الضوء ، ولمعان الزجاجة ، وكون الزيت وسيلة اتقاد المصباح يزيد الضوء ؛ لأن ضوء المصباح يختلف باختلاف ما يتقد به ، فإذا كان الدهن صافيا خالصا ، كان حالته بخلاف حالته إذا كان كدرا ، وليس في الأدهان التي توقد ما يظهر فيه من الصفاء مثل الذي يظهر في الزيت ، فربما يبلغ في الصفاء والرقة مبلغ الماء ، مع زيادة بياض فيه ، وشعاع يتردد في أجزائه ..... فإذا كان هذا الزيت من شجرة لا شرقية ولا غربية ، أي بارزة للشمس في كل حالتها، كان الزيت أكثر صفاء ، وصار الضوء خالصا كاملا ، فيصلح أن يكون مثلا لهداية الله ﷻ " [2].

([1]) مفاتيح الغيب ٢٢ / ٥٨٧ .

([2]) مفاتيح الغيب ٢٢ / ٥٨١ .

الآية الرابعة :

قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾ [١] .

يخبرنا ﷺ عن بعض الوظائف التي تؤديها الكواكب في الكون :

أولى هذه الوظائف : تزين السماء الدنيا ، فالكوكب جميلة التكوين ، عندما تظهر في سماء الأرض ، على سطحها الأزرق ، مشرقة لامعة تضيف لها رونقا وحسنا .

ومع جمال تكوينها ، وحسن منظرها ، جعل الله لها وظيفة أخرى ، وهي **حفظ السماء من الشياطين** الذين يسترقون السمع ، لمعرفة ما يدور في الملأ الأعلى ، فإذا حاولت الشياطين التسمع طاردتها الرجوم من كل جانب .

يقول الرازي : " وأما قوله : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ ففيه بحثان :

البحث الأول : فيما يتعلق باللغة ، فقوله : ﴿ وَحِفْظًا ﴾ أي وحفظناها .

قال ابن عباس : يريد حفظ السماء بالكواكب ، ومن كل شيطان مارد ، يريد الذي تمرد على الله .

---

(١) سورة الصفات ، الآيتان : ٦ ، ٧ .

البحث الثاني : فيما يتطق بالمباحث العقلية في هذا الموضوع ، فنقول الاستقصاء فيه مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [1]

قال المفسرون : الشياطين كانوا يصعدون إلى قرب السماء ، فربما سمعوا كلام الملائكة ، وعرفوا به ما سيكون من الغيوب ، وكانوا يخبرون به الكهان، ويوهمونهم إنهم يعلمون الغيب ، فمنعهم الله تعالى من الصعود إلى قرب السماء بهذه الشهب ، فإنه تعالى يرميهم بها فيحرقهم بها ، وبقي هاهنا سؤالات :

السؤال الأول : هذه الشهب هل هي من الكواكب التي زين الله السماء بها أم لا ؟ والجواب أنها ليست من الكواكب لأن هذه الشهب تبطل وتضمحل ، فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب أن يظهر نقصان كثير من أعداد كواكب السماء ، ومعلوم أن هذا المعنى لم يوجد البتة ، فإن أعداد كواكب السماء باقية على حالة واحدة من غير تغير البتة ، وأيضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان في زينة السماء ، فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض [2] .

ويمكن أن يجاب على السؤال الذي طرحه الرازي بالقول : أنه لا تناقض البته بين الكواكب زينة ، ورجوما للشياطين ؛ لأن الكواكب تظهر

---

(1) سورة الملك الآية : ٥ .

(2) مفاتيح الغيب ٢٥ / ١٩٧ : ٢٠١ .

في سماء الأرض فتزينها [١] ، وفي نفس الآن تنفصل منها ذرات من الغبار ، وقطع صخرية ، قد تتعارض ، أو تتقاطع حركاتها مع مدار الأرض ، فترتفع درجة حرارة هذه الأجسام إلى حد الاحتراق [٢] .

وعندما تحاول الشياطين استراق السمع في السماء ، ينفصل من الكوكب ما يتحول شهابا يحرق الشياطين .

الآية الخامسة :

قال ﷻ : ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ [٣] .

يتحدث سبحانه وتعالى عن الأهوال التي تسبق قيام الساعة ، عندما يزول عن كل ما في الكون صفته المعهودة التي خلق عليها ، ولما كانت الكواكب على عكس النجوم لا تتخلق بانتظام [٤] بل هي ثابتة تسير في أفلاكها ، فإنه عند يوم القيامة تزول عن هذه الكواكب صفتي الانتظام والثبات .

---

(١) يظهر كوكب الزهرة عند ظهوره في السماء باتجاه الغرب مساء ، أو باتجاه الشرق صباحا ، أما المريخ فيمكن رؤيته عبر المنظار بلونه الأحمر ، وكذلك المشترى وزحل يتميزان بلونهما المائل إلى الأصفر (معجم اكسفورد ٩ /١٤ .

(٢) معجم اكسفورد ٩ / ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٣) سورة الانفطار الآية : ٢ .

(٤) من الثابت علميا أن النجوم تتكون على الدوام ، فهي تبدأ ككتلة من الغاز ، ثم تتماسك ، وتحدث التحاما نوويا يجعلها شديدة الحرارة ، ثم تستهلك هذه الطاقة النووية في وقت ما ، فيتغير النجم ويختفي ، ويبقى ضوئه . معجم اكسفورد ١٠ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

أما النجوم التي عُهد عنها الإضاءة : فإن ضوءها ينكدر ويضمحل ، حتى يُمحى تماما .

قال ﷻ : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ [1]

وقال ﷻ : ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [2] .

يقول الرازي : " عند انتقاص تركيب السماء لابد من انتثار الكواكب [3] .**ويقول الماوردي** : يعني تساقطت [4] .

ويقول ابن عطية : سقوطها من مواضعها التي هي فيها كنظام [5] .

([1]) سورة التكوير الآية : ٢ .

([2]) سورة المرسلات الآية : ٨

([3]) مفاتيح الغيب ٣١ / ٢٤٨ .

([4]) النكت والعيون ٢٦/ ٢٢٠ .

([5]) المحرر الوجيز ٥ / ٤٤٦ .

المطلب الثاني

البروج

تعريف البروج لغة :

يقول ابن منظور : " البرج : تباعد ما بين الحاجبين ، وكل ظاهر مرتفع فقد برج ، وإنما قيل للبروج بروجا لظهورها وبيانها وارتفاعها .

والتبرج : إظهار المرأة زينتها ومحاسنها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [١] البروج ها هنا : الحصون، وقال الليث : سور المدينة ، والحصن : بيوت تبنى على السور" [٢] .

وفي القاموس المحيط :" البروج بالضم : الركن والحصن ، واحد من بروج السماء " [٣] .

فالبرج يراد به الظهور والارتفاع ، فيطلق على الحصون ، " إذ هي بناء ذو طبقات مرتفع جدا على شكل مستدير ، أو مربع ، وهي في الغالب تكون على أسوار مدينة ، أو قلاع زيادة في تحصينها " [٤] .

---

(١) سورة النساء الآية : ٧٨ .

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة " برج "

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة" برج "

(٤) دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ٥ / ٣٠٠ .

البروج في القرآن الكريم :

جاء الحديث عن البروج في عدد من الآيات منها :

قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾[1]

قولـــه ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾[2]

وقوله ﷻ : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾[3]

تعريف البروج عند المفسرين :

تعددت تعريفات المفسرين للبروج :

يقول ابن عاشور : أطلق البرج على بقعة معينة من سمت طائفة من النجوم غير السيارة (وتسمى النجوم الثوابت) ، متجمع بعضها بقرب بعض ، على أبعاد بينها لا تغيير فيما يشاهد من الجو ، **ولو خلطت بينها خطوط** لخرج منه شبه صورة حيوان ، أو آله سمو باسمها تلك النجوم المشابهة لهيئتها" [4].

---

(1) سورة الحجر الآية : ١٦ .

(2) سورة الفرقان الآية : ٦١ .

(3) سورة البروج الآية : ١ .

(4) التحرير والتنوير: ١٣/ ٢٨

وعرفها في موضع آخر بقوله : " البروج : منازل مرور الشمس فيما يرى الراصدون "[١] .

وعرفها الشيخ أبو زهرة : " البروج : منازل النجوم ، أي أن كل نجم في منزله الذي أحله الله تعالى فيه ، وارتبط بغيره عبر هذا الوجود ، بحيث يكون كل نجم في مكانه ومداره لا يحول عنه ولا يجوز" [٢] .

وقال القرطبي : " وفي البروج أقوال أربع : ...

الرابع : ذات المنازل ، وهي اثنا عشر برجا ، وهي منازل الكواكب والشمس والقمر ، ويسير القمر في كل برج يومين وثلث يوم ، فذلك ثمانية وعشرون يوما ، ثم يستسر [٣] ليلتين ، وتستمر الشمس في كل برج منها شهرا "[٤] .

ويقول الألوسي : " الظاهر أنها البروج الاثنا عشر المعروفة ، وهي في الأصل القصور العالية ، وأطلقت عليها على طريق التشبيه ، لكونها للكواكب كالمنازل الرفيعة لساكنيها ، ثم شاع فصار حقيقة فيها .

وعن الزجاج : أن البرج كل مرتفع ، فلا حاجة إلى التشبيه" [٥].

---

(١) التحرير والتنوير ٩ / ٦٤ .

(٢) زهرة التفاسير ٨ / ٤٠٧٦ .

(٣) استسر الهلال في آخر الشهر : خفي ، لسان العرب مادة (س . ر . ر)

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٣٥ ، وروح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي ١٠ /٣٨٥ ، وينظر روح المعاني للألوسي ٢١ / ٨٥ .

(٥) روح المعاني : ١٤ / ١٣٠ .

وبالتأمل في هذه التعريفات يمكن استخراج أربعة تعريفات للبروج:

الأول : أنها طائفة من النجوم المجتمعة .

الثاني : منازل النجوم .

الثالث : منازل القمر .

الرابع : منازل الشمس .

ويكشف كل تعريف من التعاريف السابقة عن خاصية من خصائص البروج .

فالقول بأنها منازل النجوم يدل على أن النجوم التي تتألف منها البروج هي من النجوم الثوابت .

يقول الرازي : " الثوابت إنما سميت ثوابت لأسباب :

أحدهما : كونها بطيئة ؛ لأنها بإزاء السيارة تشبه الساكنة .

ثانيها : أن السيارة تتحرك إليها ، وهي لا تتحرك على السيارة ، فكأن الثوابت ثابتة لانتظارها .

ثالثها : عروضها ثابتة على مقدار واحد لا تتغير .

رابعها : أبعاد ما بينها ثابتة على حال واحد ، لا تتغير بالصورة المتوهمة عليها .

خامسها : الأزمنة عند أكثر عوام الأمم بطلوعها وأفولها " [١] .

والقول بأنها طائفة من النجوم يدل على أنها ليست نجما واحدا ، وإنما مجموعة من النجوم ، متجمعة بقرب بعضها ، إذا وصلت بخطوط أعطت صورة لحيوان أو غيره .

أما القول بأنها منازل القمر ، فلأن القمر يمر بها أثناء حركته كما ذكر القرطبي .

وكذلك الحال بالنسبة للشمس ، فهي في فصل الربيع تمر ببرج الحمل ، والثور ، والجوزاء ، وفي فصل الصيف تمر ببرج السرطان ، والأسد ، والعذراء ، وفي الخريف تمر بأبراج الميزان والعقرب والقوس، وفي فصل الشتاء تمر بأبراج الجدي ، والدلو ، والحوت [٢].

البروج عند علماء الفلك :

يقول د / زغلول النجار : البروج هي تجمعات للنجوم البعيدة ، تصورها الناس منذ القدم على هيئة أشكال معينة ، كوسيلة من وسائل التعرف المبدئي عليها ، والتمييز بينها ، وأعطوا الأشكال أسماء محددة ، تباينت من دولة لأخرى ، ومن حضارة إلى حضارة "[٣] .

ثم يقول : وحقيقة التجمعات النجمية " البروج " أنها مساحات محددة من السماء الدنيا ، يحوي كل منها في كل فترة زمنية محددة ، أعدادا

---

(١) مفاتيح الغيب ٤ / ٥٩١

(٢) دائرة المعارف للمعلم : بطرس البستاني ٣٠١/٥ .

(٣) تفسير الآيات الكونية ٤/ ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

من النجوم التي تبدو لنا متقاربة مع بعضها رغم المسافات الشاسعة التي تفصلها ، نظرا لبعدها الشاسع عنا " [1].

وتقول د / سناء أمين : " البروج جمع برج ، وتسمى أحيانا الكوكبات ، وهي تجمعات للنجوم البعيدة عن الأرض بالسماء الدنيا ، وهي مقسمة إلى اثني عشر قسما ، تمر خلالها الأرض والكواكب أثناء دورتها حول الشمس ، **ونظرا لبعدها الشاسع عن الأرض** تبدو النجوم في كل كوكبة أو برج متقاربة ، فتوحي لنا باتصالها ، فتعطي هيئة معينة أو شكلا محددا ، وقد أعطي كل منها اسما يتفق مع الشكل أو الهيئة المستوحاه من تقارب نجومه النسبي ، كوسيلة من وسائل التعريف المبدئي عليها ، **وسميت هذه البروج بـــ**: الجدي ، الدلو ، الحوت ، الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الأسد ، العذراء ، الميزان ، العقرب ، القوس [2]. على اختلاف هذه الأسماء في بعض الدول وبعض الحضارات .

([1]) تفسير الآيات الكونية ٤ / ٣٨٦ .

([2]) الدعوة إلى الله من خلال منظور العلم في القرآن الكريم ص٣٠٤ .

المبحث الثالث

صفات النجم في القرآن الكريم

تكلم القرآن الكريم عن النجم في بعض آياته ، ومن خلال هذه الآيات يمكن التعرف على صفات النجم كالتالي :

أولا : النجم جرم سماوي :

ويتضح ذلك في آيات كثيرة منها : قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [١] وقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ [٢]

يقول الرازي : " اعلم أن ظاهر هذه الآيات لا يدل على أن هذه الكواكب مركوزة في السماء الدنيا ، وذلك لأن السموات إذا كانت شفافة ، فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا أو كانت في سموات أخرى فوقها، فهي لابد وان تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها [٣] .

فعلى التقديرين تكون السماء هي محل النجوم .

ثانياً : النجم جرم مضيء

يقول ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [٤] تقدم سابقا عند تعريف النجم أنه جرم مضيء بذاته ، ونقول هنا أن القرآن الكريم أكد على هذا عندما وصف النجوم بأنها مصابيح ، فكل مصباح منير .

---

(١) سورة الملك الآية : ٥ .

(٢) سورة الحجر الآية : ١٦ .

(٣) مفاتيح الغيب ٣٠ / ٦١٥ .

(٤) سورة الملك الآية : ٥ .

يقول ابن عاشور : المراد بالمصابيح النجوم ، استعير لها المصابيح لما يبدو من نورها [1] .

ويفارق ضوء النجم ضوء الشمس لأن ضوء الشمس مقرون بالحرارة ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [2] والسراج : مجمع النور والحرارة .

أما النجم فعلى الرغم من كونه جامعا بين الضوء والحرارة ، فإن حرارته لا تصل لأهل الأرض ، لأنه يبعد عنها بملايين السنين ، وعندما يقرب من الأرض يفقد حرارته ، ولا يتبقى منه إلا الضوء .

ثالثاً : النجم جرم متحرك :

يتحرك النجم حول نفسه في حركة دائمة ، كما تدور الشمس ، إلا أن حركة النجم خفيفة لا يمكن ملاحظاتها ، نظرا لبعده الشاسع عنا .

يقول د . موسى الخطيب : " إن الشمس نجم من النجوم ، لكنه اقترب منا قربا شديدا ، فبان لنا قرصه ، وعرفنا أن القرص يدور، و النجوم لا يتبين قرصها ، فهي نقاط ، فالاستدلال على دورانها حول نفسها كما دارت أعسر .

ولكن العلم إذا ضاق به سبيل اتسع له سبيل غيره ، والضوء الواصل إلينا من النجم له طيف ، ومن دراسة أطياف النجوم استدلوا على أنها تدور حول نفسها كما تدور الشمس [3] .

---

(1) مفاتيح الغيب ٣١ / ١٣٩ .

(2) سورة النبأ الآية : ١٣ .

(3) الإعجاز العلمي : د / موسى الخطيب ص١٠٠ .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التفاوت في الحركة بين الشمس والنجوم ، فقال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ [١]

فقرأ حفص ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ بالنصب ، و(والنجومُ مسخراتٌ) برفع الميم والتاء [٢] في حين قرأ الباقون .

فنصب حفص (**الشمسَ والقمرَ**) وذلك على تقدير الجملة الفعلية ، أي : سخر الشمس والقمر ، مما يعطي مفهوم الحدوث والتجدد .

ورفع (**والنجومُ مسخراتٌ**) على تقدير الجملة الاسمية التي تفيد الثبات والدوام .

ذلك أن الحركة التي سخر الله تعالى عليها الشمس والقمر ، في حين تبدو النجوم وكأنها ثابتة .

يقول ابن عاشور : ونكتة اختلاف الأسلوبين الفرق بين التسخيرين من حيث أن الأول واضح ، والآخر خفي لقلة من يرقب حركات النجوم [٣]

رابعاً :النجم جرم يظهر ويختفي :

من صفات النجم أنه لا يبدو للعين دائما ، بل يظهر ليلا ، ويختفي نهارا، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٤ .

(٢) البدور الزاهرة ٢ / ١٩ ، النشر ٢ / ٢٣١ ، و السبعة ص ٣٧ .

(٣) التحرير والتنوير ٤ / ١١٦ .

(٤) سورة الطور الآية : ٤٩ .

ووقت إدبار النجوم يقصد به معنيين هما :

١) وقت وقوع الإدبار وهو آخر الليل .

٢) عقب تمام الإدبار .

ويتم إدبار النجم بإحدى طريقتين :

١- اختفاء ضوء النجم تحت ضوء الشمس .

٢- غروبها عن الأفق [١].

يقول البيضاوي : "إذا أدبرت النجوم من آخر الليل ، وقرئ بالفتح [٢] أي في أعقابها إذا غربت أو خفيت [٣] .

خامساً : النجم جرم متعدد أشكاله ومراحله :

" يمر النجم بدورة حياتية تتألف من خمس مراحل : موت – ميلاد – شباب – شيخوخة – موت [٤] .

ويتولد النجم عندما يتكثف الدخان على ذاته ، فيبدأ عملية الاندماج النووي ، بمعنى اتحاد ذرات الهيدروجين مع بعضها ، لتعطي عناصر ثقيلة بالتدريج تنتقل به إلى الشباب .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٨٦، وتفسير الرازي ٢٨ / ٣١٤ .

(٢) وهي قراءة شاذة لم يذكرها القراء عند فرش الحروف سواء في القراءات السبع أو العشر – ينظر الإقناع في القراءات السبع للشيخ الأنصاري ص٤٦٥ ، و النشر في القراءات العشر ص٣٧٧ : ٣٧٩ .

(٣) تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب على هامشه ٨ / ٦١٩ .

(٤) تفسير الآيات الكونية ٤ / ٣٥١ .

لم يدخل مرحلة الفناء والشيخوخة عندما ينفد جميع وقود الهيدروجين ، مما يجعله مهددا بالانهيار على نفسه ، لأن جاذبيته لم تعد تجد وسيلة لإيقاف هذا بتوليد ضغط معاكس باتجاه الخارج .

وهذه المرحلة تسمى مرحلة الانهيار أو التهاوي ، التي تتواصل في حال إذا ما كانت كتلة النجم تحت (٤- ٥ كيلو) ، فيبدأ النجم في دمج الهيدروجين المتبقي في طبقاته ، فيعود مهددا بالانهيار ، فيقذف طبقاته الخارجية ، ويتحول إلى قزم أبيض .

والقزم الأبيض لا يولد أي طاقة ، لكن ما يمنعه من الانهيار هو اقتراب ذراته بعضها من بعض ، لدرجة لا تمكنه من الانهيار إلى مساحة اصغر.

وفي المقابل تبدأ حرارته في البرود تدرجيا ، ويأخذ ضوؤه في الخمود ، حتى يتحول إلى قزم اسود ، لا يملك أي ضوء أو حرارة تقريبا [١]

ومن خلال هذا العرض العلمي لحياة النجم ، نجد أنه يتحول بين عدة صور يمكن تلخيصها فيما يلي :

١) العملاق الأحمر .

٢) النجم النيتروني .

٣) الثقوب السوداء .

وهي :

أولاً : العملاق الأحمر :

---

(١) تفسير الآيات الكونية : د . زغلول النجار ٤ / ٣٥١: ٣٥٤ ، ٤ /٤٠٠ : ٤٠٢.

وهو أول مراحل الشيخوخة ، يبدأ فيها النجم بالانفجار والانهيار، ويفقد فيها طاقته الحرارية ويمكن تسميته بالنجم الهاوي ، كما قال ﷻ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [1].

يقول ابن عاشور : ﴿ إِذَا هَوَىٰ ﴾ بدل اشتمال من النجم ؛ لأن المراد من النجم أحواله الدالة على قدرة خالقه ، ومصرفه ، ومن أعظم أحواله حال هويه [2] **والتهاوي والسقوط نحو الداخل** : دون الخارج ومنه سمي هوى النفس بالهوى ، لأن الإنسان يتبع ما يأتيه من داخل نفسه ، قال ﷻ : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [3] .

والهوى يعني : **الهلاك والانهيار** والدمار: ومنه قوله ﷻ : ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [4] أي : مستقرة في النار [5] ، وقوله ﷻ : ﴿ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [6] ، **قال صاحب الكشاف** : إن كان تشبيها مركبا فكأنه قال : من أشرك بالله فقد اهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصور حال من خر من السماء فاختطفته الطير ، فتفرق

---

(1) سورة النجم الآية : ١ .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧ / ٩٠

(3) سورة الجاثية الآية : ٢٣ .

(4) سورة القارعة الآية : ٩ .

(5) الصحاح ٢ / ٢٦١

(6) سورة الحج الآية: ٣١ .

في حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة [١] .

كما يعني الإسراع : ومنه قيل للهوا هواءً ، لسرعة مروره .

وعلى هذا يدل المعنى اللغوي ، على أن النجم يتهاوى وينهار على نفسه بصورة سريعة .

يقول ابن عاشور : والهوى: السقوط ، أطلق هنا على غروب الكوكب[٢].

ويقول الألوسي : معنى (هَوى) غرب ، وقيل الهوى بالفتح والضم للسقوط [٣].

فالمفسرون يفسرون الهُوى بمعنيي السقوط والغروب .

وبالجمع بين المعنى اللغوي ، والعلمي وأقوال المفسرين ، يكون معنى

(هوى) : سقط من خارجه (أعلاه) إلى مركزه الداخلي ، بادئا في الانهيار والفناء ، بسرعة شديدة ، تزول فيه صفاته المعتادة من الضوء والحرارة .

فسبحان من أوجز كل هذه المعاني في كلمة واحدة " هوى " .

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٣ / ١٥٤ .

(٢) التحرير و التنوير لابن عاشور ٢٧ / ٩١ .

(٣) تفسير الألوسي ١٤ / ٤٥

ثانياً : النجم النيتروني :

وهو نجم فاقد للحرارة والضوء معا ، تضاغطت عناصره ومواده بصورة كثيفة ، مما يضطره لإرسال نبضات منتظمة من الأشعة الراديويه [1] .

ويمكن تسميته بالنجم الطارق ، كما قال ﷻ : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ [2] ، فدلت الآية على أن هناك نجوما مخصوصة تسمى بالثاقب ، ومعناه الخارق لغيره [3].

وقد اختلف العلماء في تفسير المقصود بـ ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ على عدة آراء كالتالي [4] :

١- **هو عموم النجوم** ؛ لأنها تثقب الظلام بضوئها، ف " ال " هنا للجنس .

٢- **هو نجم معهود بالثقب** ، وخصه الرازي والبيضاوي بـ(زحل)

---

(١) تفسير الآيات الكونية : د . زغلول النجار ٤ / ٤٠٣ .

(٢) سورة الطارق الآيات : ١ : ٣ .

(٣) انظر لسان العرب مادة ثقب .

(٤) مفاتيح الغيب ٣١ / ٣٣١ ، البيضاوي بحاشية الشهاب ١٢ / ٤٦٢ ، تفسير الطبري ١٢ / ٥٣٣ .

٣- **هو النجم المرتفع على باقي النجوم** ، وقيل المراد به زحل ، لأنه ابعد الكواكب السيارة وأعلاها ، وهو من ثقب بمعنى ارتفع ؛ لأنه أرفع السيارة مكانا .

٤- **هو الثريا** .

٥- **هو الشهب التي ترجم بها الشياطين** ، لقوله ﷻ :

﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[1]

ويمكن مناقشة هذه الأقوال بما يلي :

١)**أن إضافة صفة الثاقب مخصصه لعموم لفظ النجم** : لأن الوصف من أساليب التخصيص ، فلا يمكن أن يقال أن المراد هنا عموم النجوم .

٢)**أن الله تعالى سماه نجما وليس كوكبا** : لذا لا يصح تفسير النجم بالكوكب زحل .

٣)**أن كون الشهاب يثقب الشيطان** : أي " ينفذ فيه ويخرقه " [2] لا يجعله نجما ؛ لأن الاشتراك في الصفة لا يعني الاشتراك في الموصوف، كما يقال : رجل ماهر ، وامرأة ماهرة ، ولذا قال الشهاب تعليقا : عدم ذكر البيضاوي لهذا الرأي مع ورده في الكشاف (وترك ما

---

(١) سورة الصافات الآية : ١٠ .

(٢) تفسير الرازي ١٦ / ٣٣١ .

في الكشاف من تفسيره بالشهاب الساقط على الشيطان لظهوره أنه لا يختص به) [1].

ومن هذه الأقوال تبين أن أرجح الآراء في معنى النجم الثاقب : أنه نجم معهود بصفة الثقب ، وقد أطلق عليه القرآن الكريم اسم الطارق ، **وذلك لعدة أسباب** :

١) **أنه يبدو ليلا** : والعرب تسمي كل ما يأتي ليلا بالطارق ،

٢) **ثبت بالعلم الحديث وبالتسجيل الصوتي** [2] : أن ذلك النجم يحدث صوتا كصوت الطرق على الباب .

أهمية النجم النيتروني ودوره :

يقول الدكتور / زغلول النجار : ينطبق الوصف القرآني بالطارق ، النجم الثاقب ، على مصدر الإشعاع الراديوي ، المميز بالسماء الدنيا ، ومن أهمها النجوم النيوترونية شديدة الضبط ، والمعروفة بالنجوم النابضة ، فإنها تدور حول محورها بسرعة فائقة ، ومطلقة كميات هائلة من الموجات الراديوية [3] .

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١/ ٤٦٢ .

(٢) لسماع ذلك الصوت يمكن الدخول على اليوتيوب : www.youtube.com ثم اكتب والسماء و الطارق – استمع إلى صوت النجم الطارق .

(٣) تفسير الآيات الكونية ٤ / ٤٠٥ .

" وهذه المراحل اراديوية المتميزة في حياة النجوم سميت بالطارق ؛ لأنها تطرق صفحة السماء وتثقبها بموجاتها الراديوية " [١] وعندما تلمس هذه الموجات الراديوية سطح الأرض تحدث أصواتا منتظمة تشبه أصوات المطرقة .

وقد فخم الله تعالى من شأن هذا النجم ، فاقسم به ، وقرنه بالسماء ، دلالة على عظم شأنه ، لأن القسم في القرآن الكريم يأتي تنبيها على أهمية المقسم به ، وضروريته لاستقامة الكون أو استقامة الحياة أو كلاهما .

يقول الرازي تعليقا على قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ ، أي : هو طارق عظيم الشأن ، رفيع القدر .

وتساعد الاكتشافات العلمية الحديثة ، على تحديد أهميته في التعرف على الموجات الراديوية .

ثالثاً : الثقوب السوداء .

وهي نجوم انضغطت بشكل كبير ، بعد أن نفد وقودها ، فتجمعت فيها المادة بكثافة عالية بشكل يمنع أي شيء من مغادرتها .

وقد سماها القرآن الكريم بالخنس ، والكنس ، والجوار، فقال ﷻ :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ [٢] .

---

(١) تفسير الآيات الكونية ٤ / ٤٠٦ .

(٢) سورة التكوير الآيتين : ١٥ ، ١٦ .

فوصف الله تعالى هذا الجرم السماوي بثلاث صفات : الخنس ، الجري ، الكنس ، ولكل منها دلالة .

فالخُنس : من الخنس وهو الانقباض والاستخفاء [1] ، ومنه سمي الشيطان بالخناس ، لأنه لا يرى من قبل بني آدم فقال ﷻ : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [2] .

والجري : المر السريع (٣) ، كما قال ﷻ : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ [4] **والمراد به السفن** ؛ لأنها تجري في البحر ، وتشق الماء بسرعة .

والكنس : صيغة جمع ، مفردها كانس ، وتدل في أصل مادتها (الكاف، و النون ، السين) على معنيين .

الأول : سفر شيء عن وجه شيء ، ومنه كنس البيت ، أي : سفر التراب عن وجه أرضه ، والمكنسة : آلة الكنس .

الثاني : الاستخفاء ، ومنه الكانس أي بيت الظبي والبقر الوحشي ؛ لأنها تستكن فيه من الحر [5] .

---

(١) لسان العرب مادة خنس

(٢) سورة الناس الآية : ٤ .

(٣) المفردات ص٩٢ .

(٤) سورة الرحمن الآية : ٢٤ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ، مادة كنس ، لسان العرب مادة كنس .

فمادة الكنس تعني الإزالة والإخفاء للغير .

وقد اكتشف العلم الحديث هذه الصفات في الجرم ، فصفة الخفاء منعت العلماء من اكتشافه ، إلا عندما لاحظوا أن كل شيء يحيط به يتجه نحوه ، ويختفي ، ، حتى الضوء ينحرف مساره عند اقترابه منه ، فعلموا أن هنا في هذا المكان ثقبا لا يرى ، فسموه بالأسود .

وقد أرجع العلماء سبب خفائه ، على قوة الجاذبية التي يتمتع بها، مما يجعل عملية الهروب منه صعبة جدا ، وهو مالا يمكن لأي جسم تحقيقه حتى الضوء فإنه لا يستطيع الهروب من جاذبيته ، وإنما يبتلعه .

وخاصية الابتلاع هي التي ساعدت على اكتشافه ، فهو يبتلع كل ما يصادفه ويكنسه كالمكنسة ، ويزيله عن صفحة السماء .

وبهذا تتلازم الصفتان (الخنس والكنس) ، فهو خاف في نفسه ، مخف لغيره ، ويكون ما توصل إليه العلماء [1]، هو أقرب إلى الآية من الآراء التي حاول المفسرون قديما أن يؤلوا بها الآية ، **فقد ذكر المفسرون في تأويل الآية ثلاثة آراء** :

الرأي الأول : إنها الكواكب ؛ لأنها تختفي بالنهار وتظهر بالليل .

يقول البيضاوي : هي الكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر ، وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات ، ولذلك وصفها بقوله ﷻ : ﴿الْجَوَارِ

---

(١) ينظر تفسير الآيات الكونية : د / زغلول النجار ٤ / ١٠٠ .

﴿ الْكُنَّسِ ﴾ أي : السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس ، من كنس الوحش إذا دخل كناسه ، وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر[1] .

وشرح الشهاب مراد الإمام البيضاوي فقال : النيران الشمس والقمر خصا بذلك ، لزيادة نورهما على نور غيرهما من الكواكب ، وما عداهما من السيارة هي الخمسة المسماة بالمتحيرة ؛ لأنها رجعت عن الجهة التي تتحرك نحوها [2] .

فالبيضاوي يرى أن الكواكب هي الخنس المقسم بها ، لأنها ترجع على مكانها الذي تحركت منه ، وتختفي تحت ضوء الشمس ، وتسمى بالكنس لاختفائها تحت ضوء الشمس ، كما يختفي الوحش في بيته .

وأيده في ذلك الإمام الرازي فقال : " إن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة ، واستقامتها ، فرجوعها هو الخنوس ، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ، ولا شك أن هذه حالة عجيبة ، وفيها أسرار عظيمة باهرة " [3] .

الرأي الثاني : إنها النجوم لأنها تختفي بالنهار وتظهر بالليل .

يقول ابن عطية : قال قتادة : المراد النجوم كلها ؛ لأنها تخنس بالنهار حين تختفي [4] .

([1]) تفسير البيضاوي لحاشية الشهاب ٩ / ٤٢٨ .

([2]) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٩ / ٤٢٨ .

([3]) تفسير الرازي ٣١ / ٦٧ ، ٦٨ .

([4])المحرر الوجيز لابن عطية ٥ / ٤٤٣ ..

الرأي الثالث : إن المراد بالخنس البقر الوحشي ، أو الظباء ؛ لأنها تكنس ، أي : تأوي إلى بيتها ، وهو الكناس تستكن فيها من الحر .

قال ابن عطية : " قال جماعة من المفسرين : المراد بالخنس الجوار **الكنس** : بقر الوحش ؛ لأنها تفعل هذه الأفعال في كناسها ، وهي المواضع التي تأوي إليها من الشجر " (١) .

وكل رأي من هذه الآراء عليه مأخذ :

فالقول بأنها البقر الوحشي لا يليق من عدة جوه :

" **الأول** : من شأن أقسام القرآن الكريم أن يكون بالأشياء العظيمة ، الدالة على قدرة الله تعالى ، أو الأشياء المباركة .

الثاني : أن البقر والظباء ليست لها حالة تختفي فيها عن العيان مطلقا ، بل لا تزال ظاهرة في الفلوات .

الثالث : إن كنوسها في أكنتها ليس بأعظم من دخول الطير ، وسائر الحيوانات في بيته ، الذي يأوي فيه ، ولا أظهر منه حتى يتعين القسم .

الرابع : انه لو كان جمعا للظبى ، لقال الخنس بالتسكين ، لأنه جمع أخنس ، فهو كأحمر وحمر ، ولو أريد به جمع بقرة خنساء ، لكان على وزن فعلاء ، أيضا كحمراء وحمر ، فلما جاء جمعه على فعل بالتشديد ، استحال أن يكون جمعا لواحد من الظباء والبقر ، وتعين أن يكون جمعا لخانس كشاهد وشهد ، وصائم وصوم ــ وقائم وقوم ، ونظائرها .

---

(١) المرجع السابق ٥ / ٤٤٣ .

الخامس : أنه ليس بالبين إقسام الله تعالى بالبقر والغزلان ، وليس هذا عرف القرآن الكريم ، ولا عادته ، وإنما يقسم سبحانه وتعالى من كل جنس بأعلاه ، كما انه لما أقسم بالنفوس أقسم بأعلاها وهي النفس الإنسانية ، ولما اقسم بكلامه سبحانه أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن .

السادس : إن اقتران القسم بالليل والصبح ، يدل على أنها النجوم ، وإلا فليس باللائق اقتران البقر ، والغزلان ، والليل ، والصبح في قسم واحد .

وبهذا احتج أبو اسحاق على أنها النجوم فقال : هذا أليق ، بذكر النجوم منه بذكر الوحش .

السابع : انه لو أراد ذلك سبحانه ، لبينه وذكر ما يدل عليه ، كما إنه لما أراد بالجواري السفن قال : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ [1] وهنا ليس في اللفظ ولا في السياق ما يدل على أنها البقر والظباء ، وفيه ما يدل على أنها النجوم من الوجوه التي ذكرناها وغيرها .

الثامن : أن الارتباط الذي بين النجوم التي هي هادية للسالكين ، ورجوم للشياطين وبين المقسم عليه وهو القرآن الكريم ، الذي هو هدى للعالمين ، وزينة للقلوب ، وداحض لشبهات الشياطين ، أعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء وبين القرآن والله اعلم " [2] .

([1]) سورة الشورى الآية : ٣٢ .

([2]) التبيان في إقسام القرآن لابن القيم ١ / ١١٦: ١١٨.

كذلك القول بأن المراد بها الكواكب لا يستقيم ؛ لأن الكواكب تختفي عن أعين سكان الأرض ، ولكن رواد الفضاء يمكنهم مشاهدتها في أي وقت، فالخنس هنا نسبي ، والآية تتكلم عن الخنس والاختفاء المطلق ، كما أن هذا الرأي يحمل كلمة الكنس على معنى الخفاء ، ولا شك من أن حمل الآية على معنى جديد أولى من تكرار المعنى .

أما **القول بأنه النجوم** ، فمثله مثل الكواكب ؛ لأنها تختفي بالنهار ، وتظهر مع قدوم الليل ، ويمكن لسكان النصف الثاني من الأرض مشاهدتها .

المبحث الرابع

منافع النجوم

جاء الحديث عن النجوم في كثير من آيا ت القرآن الكريم ، مقترنا بما يدل على كثير خيره ، وعظيم بركاته .

ومن ذلك قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وقال ﷻ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [2].

فاقتران الحديث عن النجوم بلفظ ﴿ تَبَارَكَ ﴾ دليل على خيرية السنجم ، لأن لفظ ﴿ تَبَارَكَ ﴾ يدل على اختصاص الله تعالى بالخيرات المقترنه به [3].

فالنجم خير من خيار خلق الله ، لا يقدر بشر أن يضاهيه .

---

(١) سورة الأعراف الآي : ٥٤ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ٦١ .

(٣) المفردات للراغب ص ٩٩ .

والنجم مظهر من مظاهر رحمته ﷻ ، ونعمة من نعمه التي أظهرها لعباده على غاية الجلال والعظمة ، وأوصل نفعها غليهم بمنتهى الإكرام و الإحسان ، يقول تعالى في مفتتح حديثه في سورة الرحمن :

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ ﴾ [1] .

ثم يختم الحديث عن هذه الرحمات والنعم بقوله ﷻ : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [2] .

فقرن سبحانه ما يصدر عن اسمه الرحمن بالخيرية والجلال والإكرام ، ولقد فصلت الآيات القرآنية كثيرا من هذه المنافع ، ومن أبرزها ما يلي :

١) إنارة السماء ليلا :

قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ [3] .

وقد سبق الإشارة إلى هذه المنفعة مع الحديث عن صفات النجم .

٢) زينة للسماء :

---

(١) سورة الرحمن الآيات : ١ : ٦ .

(٢) سورة الرحمن الآية : ٧٨ .

(٣) سورة الملك الآية : ٥ .

وذلك أن أنوار النجوم تلوح متلألئة في الليل ، فتكون تلك الأضواء زينة للسماء الدنيا ، تزدان بها ، كما تزين السماء بصور النجوم وأشكالها البديعة قال ﷻ :﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾[١]

قال ﷻ :﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[٢].

٣)**الاهتداء في الطرقات** :

قال ﷺ : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٣]

قال ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[٤].

يقول ابن عاشور : " ومنه الاهتداء في الليل ، لأن السبيل والعلامات ، إنما تهدي في النهار ، وقد يضطر السالك إلى السير ليلا ، فمواقع النجوم علامات لاهتداء الناس السائرين ليلا ، تعرف بها السموات ، وأخص ما يهتدي بها البحارة ؛ لأنهم لا يستطيعون الإرساء في كل ليلة ، فهم مضطرون إلى السير ليلا وهي هداية عظيمة وقت ارتباك الطريق

---

(١) سورة الحجر الآية : ١٦ .

(٢) سورة الملك الآية : ٥ .

(٣) سورة النحل الآية : ١٦ .

(٤) سورة الأنعام الآية : ٩٧ .

على السائر ، وكذلك قدم المتعلق في قوله ﷻ : ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ تقديما يفيد الاهتمام ، وكذلك بالمسند الفعلي في قوله ﷻ : ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ .

وعدل عن الخطاب إلى الغيبة التفاتا يومئ إلى فريق خاص وهم السيارة، والملاحون ، فإن هديهم بهذه النجوم لا غير .

والتعريف في النجم " تعريف الجنس ، والمقصود التي تعرفها الناس للاهتداء بها مثل القطب " [1] .

يقول د . زغلول النجار : " يبدو النجم القطبي الذي وضعه الخالق على الامتداد الشمالي لمحور دوران الأرض ساكنا ، ويحدد بموقعه اتجاه الشمال الحقيقي ، ومن ثم يعين على تحديد الجهات الأربع الأصلية على الأرض ، وفي صفحة السماء ، مما يساعد على التوجه الصحيح ، وفي تحديد القبلة ، وغيرها من المواقع [2] .

٤)تكون الحديد :

أشار سبحانه وتعالى إلى خلق الحديد بقوله ﷻ : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [3]

---

(١) التحرير والتنوير ١٤ / ١٢٢ .

(٢) تفسير الآيات الكونية ٤ / ٢٨٨ .

(٣) سورة الحديد الآية : ٢٥ .

وقد فسر المفسرون النزول بعدة تفسيرات :

١- **الجعل** : يقول ابن كثير : " وجعلنا الحديد " [١] .

٢- **الخلق** : يقول الألوسي : " أي خلقناه ، وهو تفسير يلازم الشيء ، فإن كل مخلوق منزل باعتبار ثبوته في اللوح " [٢] .

٣- **الإنزال المجازي** : يقول أبو حيان : " عبر عن إيجاده بالإنزال ... فإن الأوامر وجميع القضايا والأحكام لما كانت تلقى من السماء، جعل الكل نزولا منها " [٣] .

٤- **التسخير** : يقول ابن عاشور : " فإطلاق الإنزال هنا بمعنى التذليل والتمكين على نحو قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ) أي : سخرناه للناس ، فألهمناهم إلى معرفة قَيْنِه يتخذونه سيوفا ودروعا ورماحا ، وعتادا مع شدته ، وصلابته " [٤] .

وكل هذه المعاني متطابقة مع الحديد ، فهو من مخلوقات الله تعالى ، هيأه الله ليكون منقادا للإنسان ، يشكله ويسخره كيف يشاء ، ولكنها تغفل معنى من المعاني المقصودة للفظ النزول ، وهو : (الهبوط من علو إلى سفل) ، ولعل ذلك راجع إلى أن المفسرين لم يستطيعوا أن يتخيلوا أن هذا القدر الهائل من الحديد يمكن أن ينزل من السماء ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٨ / ٢٨ .

(٢) روح المعاني ٢٠ / ٣٤١ ، فتح القدير ٧ / ١٦٠ .

(٣) البحر المحيط ١٠ / ١١٤ .

(٤) التحرير والتنوير ١٢/ ٢٨٣ .

باستثناء ما جاء في **البحر المديد** إذ يقول : " خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة" [1] .

ويقول د . زغلول النجار :" ثبت لعلماء الفلك والعلوم الكونية أن الحديد لا يتكون في الجزء المدرك من الكون إلا في مراحل محددة من حياة النجوم تسمى بـ(العماليق الحمر) ، وذلك بعد أن يتحول لبها بالكامل إلى حديد ، فتنفجر على هيئة المستعرات العظام ، وبانفجارها تتناثر مكوناتها .

وقد اندفع الحديد إلى أرضنا ابتداء، وهي كومة من الرماد بحكم كثافته العالية ، وسرعته المندفع بها ، فانصهر بحرارة الاستقرار في قلب الأرض "[2] .

٥) حفظ السماء من الشياطين :

تحدث القرآن الكريم عن رجم الشياطين ؛ لدفعهم عن استراق السمع في أكثر من آية ، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [3]

قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[4]

---

(1) البحر المديد ٢/ ٤١ .

(2) تفسير الآيات الكونية ٤ / ١٤٠ .

(3) سورة الصافات الآيتان : ٦ ، ٧ .

(4) سورة الملك الآية : ٥ .

قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

تشير هذه الآيات إلى ثلاث مصادر للشهب وهي الكواكب والنجوم والبروج ، فكيف يمكن الجمع بينها ؟

يقدم العلماء في العصر الحالي إجابات تساعد على التوفيق ، **فالشهب** في أصلها أجسام سماوية تسير في الفضاء ، وعندما تصطدم بالغلاف الجوي للأرض تحترق ، وتظهر لسكان الأرض على شكل ضوء أبيض .

وبعض هذه الأجرام كتل حجرية منفصلة من بعض الكواكب [2]، وبعضها الآخر كتل حديدية قادمة من النجوم المتفجرة .

فالكتلة الصلبة من النجم التي تكونت في مرحلة العماليق الحمر تتحول إلى شهاب عندما تصطدم بالغلاف الجوي [3] ، وتبقى مساراتها في السماء مضيئة فيما يعرف بـ(مواقع النجوم) [4] ، ولذا أعاد الضمير في قوله ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ على المصابيح وإن لم

---

(1) سورة الحجر الآيات : ١٦: ١٨ .

(2) موسوعة اكسفورد العربية ج٦ ص١٦٣ ، الدعوة إلى الله من منظور العلم ص٣٠٠ .

(3) تفسير الآيات الكونية ج٤ ص٦٩ .

(4) الآيات الكونية ج٤ ص١٢٨ .

يرجم بها، لأنهما (المصابيح والرجوم) من مصدر واحد وهـو النجـوم (فالشهب تعتبر مقذوفات منبعثة من مصابيح السماء أي من النجوم) [1]

(1) الإعجاز العلمي في القران الكريم والسنة النبوية : د موسى الخطيب ص٣٠٤ .

الفصل الثاني

المقاصد القرآنية من ذكر النجوم

ويتكون من تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول: إثبات ربوبية الله واستحقاقه للعبادة .

المطلب الثاني: تقريب الحقائق الدينية.

المطلب الثالث : الدعوة إلى إعمال العقل

المطلب الرابع : التمنن على العباد .

تمهيد

قد أورد القرآن الكريم النجوم لغايات ومقاصد تنفع الناس في دينهم ودنياهم .

وسأبدأ – بإذن الله تعالى – في تعريف المقصد لغة واصطلاحا .

تعريف المقاصد لغة :

المقاصد : جمع مقصد ، من باب ضرب تقول : قصد يقصده قصدا .

يقول ابن فارس : " القاف ، والصاد ، والدال ، ثلاثة أحرف يدل جمعها على إتيان الشيء وأمه [١].

وجاء في لسان العرب : أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب : الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء ، على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة ، قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل ، ألا ترى انك تقصد الجور تارة ، كما تقصد العدل أخرى ؟ فالاعتزام والتوجه شامل لهما جميعا [٢].

فالفعل قصد يحمل في اللغة ثلاث معان :

١ – الإتيان بالفعل .

٢ – توفر العزم والعمد في الفعل .

٣ – وضوح الغرض والهدف .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة قصد .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، مادة قصد .

ثم غلب في الإطلاق على الاستقامة ، لأن الشيء المستقيم يوصل إلى المقصود بسهولة، مما يدفع ذوي العقول إلى التوجه إليه عن قصد وعمد، لعلمهم بما يتضمنه من معان الحق والصدق ، أما غيره من الطرق فقد يسلكه المرء عن غفلة أو هوى أو شهوة ، ومن هذا قوله ﷻ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] ، أي : على الله هداية وبيان الطريق المستقيم ، وهو الإسلام بالرسل ، والحجج والبراهين .

و﴿ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ معناه : استقامة الطريق ، يقال طريق قاصد ، أي مستقيم يؤدي إلى المطلوب [2] . ثم أطلق على كل ما يوصل لمقصوده .

وقريب منه قوله ﷻ :﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾[3]

أي لو كان سفرا سهلا معلوم الطريق لساروا معك فيه .

وإنما قيل قاصدا ؛ لأن المتوسط بين الإفراط والتفريط يقال له مقتصد .

قال ﷻ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾[4] .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾[5] .

---

(1) سورة النحل : الآية : ٩ .

(2) تفسير القرطبي ١ / ٨١

(3) سورة التوبة الآية : ٤٢ .

(4) سورة فاطر الآية : ٣٢ .

(5) سورة المائدة الآية : ٦٦ .

يقول الرازي : " الاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل ، من غير غلو ولا تقصير ، وأصله القصد ، وذلك لأن من عرف مطلوبه فإنه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم ، من غير انحراف ولا اضطراب ، أما من لم يعرف موضع مقصوده فإنه يكون متحيرا ، تارة يذهب يمينا ، وأخرى يسارا ، ولهذا السبب جعل الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدي إلى الغرض "[١] .

و منه قوله ﷻ : ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾[٢] .

والقصد : الوسط العدل بين طرفين ، فالقصد في المشي ، هو أن يكون بين طرف التبختر ، وطرف الدبيب [٣] .

تعريف المقصد اصطلاحا :

جاء في معجم لغة الفقهاء :

المقصود: الغاية التي يريدها المتصرف،ومقصود الشارع غايته وهدفه[٤]

تعريف مقاصد القرآن :

بملاحظة المعنيين اللغوي والاصطلاحي للمقاصد ، يمكن تعريف مقاصد القرآن بالقول بأنها : الأهداف والغايات التي انزل القرآن الكريم من أجلها، وهدف إليها في تشريعاته .

---

(١) تفسير الرازي ١١ / ٨٨ .

(٢) سورة لقمان الآية : ١٩ .

(٣) التحرير والتنوير ٢١ / ١٦٨ .

(٤) معجم لغة الفقهاء : محمد رواس ص ٤٥٤ .

أنواع المقاصد :

يمكن تقسيم المقاصد القرآنية إلى ثلاثة أقسام :

١)**المقاصد العامة** : وهي الأهداف الظاهرة العامة ، والملحوظة في كل أهداف القرآن الكريم وموضوعاته ، وتشريعاته ، مثل : تصحيح العقائد ، والدعوة إلى عبادة الله .

٢)**المقاصد الخاصة**: وهي الملاحظة في بعض أحكام القرآن أو بعض موضوعاته ، مثل : تكوين الأسرة ، وإنصاف المرأة ، أو مقصد عمارة الكون .

٣)**المقاصد الجزئية** : وهي الملاحظة في آحاد الأحكام والنصوص والموضوعات ، مثل : حقوق الزوجة ، وقوامة الرجل .

ولا يمكن الوصول إلى المقاصد العامة للقرآن الكريم ، إلا بإدراك مقاصده في كل باب من أبوابه ، وموضوع من موضوعاته، وذلك بدراسة المقاصد الجزئية وتتبعها واستخراجها في كل موضوع ، ثم فحصها وتصنيفها ، وتجميعها للوصول للمقاصد العامة .

وتحقيق المقاصد العامة يسهل تحقيق المقاصد الخاصة والجزئية .

ويتعلق ذكر النجوم في القرآن الكريم بالمقاصد العامة التي تتضح من خلال النظر في آيات القرآن الكريم المتصلة بالنجوم .

وسوف أعقد مطلبا لكل مقصد من هذه المقاصد العامة ،وذلك فيما يلي :

المطلب الأول

إثبات ربوبية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة

هدف القرآن الكريم في أول مقاصده من ذكر النجوم ، إلى الدعوة إلى إعمال العقل ، حتى يتوصل إلى وجود إله واحد للكون .

ويمكن للعقل من خلال التأمل في خلق النجوم تقديم عدة أدلة تثبت ربوبية الله واستحقاقه وحده للعبادة ، ومنها : - [١] :

أولاً : دليل الإمكان :

وهو دليل يقوم على أن النجوم مختلفة فيما بينها ، فتخصيص كل منها بما اختص به لا يأت إلا بمخصص قدير .

يقول الرازي : " إنا نشاهد هذه الكواكب مختلفة في صفات كثيرة ، فبعضها سيارة ، وبعضها ثابتة ، وأيضا الثوابت لامعه ، و السيارة غير لامعه ، وأيضا بعضها كبيرة درية عظيمة الضوء ، وبعضها صغيرة خفية قليلة الضوء ، ومتى كان الأمر كذلك ، كان اختصاص كل منها بصفة معينة دليلا على أن ذلك ليس إلا بتقدير الفاعل المختار [٢] ،

---

(١)انظر عرض موجز للأدلة في منهج الأدلة لابن رشد ص١١ وما بعدها .

(٢) تفسير الرازي ١٢/ ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، قول الرازي : إن بعضها سيارة بعضها ثابت لا يتناسب مع العلم الذي أثبت أن كلها متحرك بحركة غير ظاهرة ، إلا إذا قصد بالكواكب السيارة الكواكب كالزهرة والأرض ...كما إن الثوابت مضيئة وليست لامعه ، وأن اللامع هو كوكب الزهرة والمشترى .

ومعنى هذا أن النجوم في تغيرها وتجددها حادثة ، ممكنة ، والممكن يحتاج في إيجاده على واجب قديم ثابت ، وهذا الواجب الموجود هو الله الخلاق العليم ، وما دام هو الخالق الموجود فهو المستحق وحده للعبادة.

ثانياً : دليل الدقة :

وهو دليل يعتمد على أن النجوم دقيقة في خلقها ، سابحة في فلكها ، قائمة بوظيفتها مما يستوجب أن يكون لها صانع يوجدها ويهديها ، ويستحيل أن توجد نفسها ؛ لأنها بذلك تكون فاعلة ومفعولة في وقت واحد ، ولن توجدها الصدفة ، لأن الصدفة لا تتكرر ، ولن يوجدها بدقتها حادث مثلها حتى لا يلزم الدور والتسلسل ، ولذلك وجب أن يكون موجدها هو الله تعالى .

" إن دورة حياة النجم تبدأ من الدخان ، الذي يبدأ بالتكثف على ذاته ، فتبدأ من داخله عملية الاندماج النووي ، بمعنى اتحاد ذرات الهيدروجين مع بعضها لتعطي عناصر ثقيلة بالتدريج ، فيتحول النجم (الدخان) بالتدريج إلى عناصر تجعلها قوة الجاذبية تتماسك بقوة أكثر ، حتى يصبح الوسط أكثر دفئا وكثافة ، ويصبح الغاز في منتهى الحرارة ، حتى يمكن فيبدأ الالتحام النووي ، وعندما يحدث هذا يولد نجم جديد [1].

إن وراء هذه الدقة ، والنظام قدرة قادرة هي قدرة الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون .

([1]) معجم اكسفورد ص١٤٦ ، تفسير الآيات الكونية ٢ / ١٤٥ .

فانظر إلى العلي القدير كيف وازن بين مكونات النجم حتى صار مخلوقا آخر ، ولا توجد الدقة في خلق النجم فحسب ، بل نجدها في البروج ، وتجمع النجوم بعضها بالقرب من بعض ، على أبعاد لا تتغير فيما يشاهد من الجو ، لتشكل صورا ثابتة ينتفع بها الناس على مر العصور ، مما يعد دليلا على دقة الخلق وعظمته .

قال ﷻ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾[1] .

يقول ابن عاشور : ودلالة خلق البروج وخلق الشمس والقمر على عظيم القدرة دلالة بينة للعاقل ، وأيضا فإن دقة الصنع ، وجودة النظام ، وثبات تحقق الأهداف ، بحيث لا تتوقف ولا تختل ، ولا تتعارض أكبر دليل على قدرة الصانع العظيم ، بحيث لا يختل نظامها ولا يختلف حتى يتسنى للناس رصد أحوالها ، وإناطة حسابهم بها " [2] .

ثالثاً : دليل الغاية :

وهو دليل يقوم على أن تلك النجوم خلقت لغاية ، وهدف ،ولم تخلق عبثا، وإيجاد هذا الهدف ، وتسخير النجوم لأدائه دليل على أن هناك خالق ، ورب مدبر ، وإله مسخر وهو الله تعالى ، يقول ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [3]

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٦١ .

(٢) التحرير والتنوير ٩ / ٦٤ .

(٣) سورة الأنبياء الآية : ١٦ .

يقول الرازي :" أي وما سوينا هذا السقف المرفوع ، وهذا المهاد الموضوع ، وما بينهما من العجائب والغرائب ، كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم ، للهو واللعب ، وإنما سويناهم لفوائد دينية ودنيوية .

أما الدينية : فليتفكر المتفكرون على ما قال ﷻ : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[1] .

وأما الدنيوية : فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى " [2]

رابعاً : دليل العناية :

وهو دليل يقوم على عناية الله تعالى بالخلق من البشر ، ورعاية مصالحهم ، بما يدفع عنهم الضرر ، وتسخير مخلوقاته على كيفية تنفعهم ولا تضرهم .

فالنجم ذو طاقة حرارية هائلة ، لو اقتربت من كوكب الأرض لأحرقته ، ولذا جعل الله تعالى مكانه بعيدا عن الأرض ، وعندما يتهاوى هذا النجم ويفنى في آخر دورة حياته لا ينفجر انفجارا كليا يسقط أجزاء النجم على الأرض ، بل يتهاوى على نفسه ويبرد تدريجيا من دون أن يحرق الأرض .

---

(1) سورة آل عمران الآية : ١٩١ .

(2) مفاتيح الغيب ٢١ /٩٠ .

خامساً : دليل الجمال :

فقد خلق الله تعالى السموات وزينها بالنجوم التي ملأت صفحتها بضوئها، وأشكالها الرائعة ، وصورها البديعة .

إن النجوم وهي تقدم هذه الأدلة المتعددة ، تبرهن على وجود الله تعالى وخلقه للعالم في أحسن صورة ، بما يثبت أحقية الله تعالى بالعبادة بلا شريك .

وقد ربط القرآن الكريم بين هذه الأحقية ، وبين التأكيد على خلق الله للنجوم في آيات عديدة ، بعد أن تحدث عن مخلوقاته في السموات والأرض .

قال ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

ثم قال بعد عدة آيات بعدها ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٩٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٠٢ .

يقول الألوسي : ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، أخبار أربعة مترادفة ، أي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة الشأن هو الله المستحق للعبادة[1] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

" وقد تضمنت هذه الآيات من بدائع الصنعة ، ودقائق الحكمة ، وظهور البراهين ما اقتضى أنه تعالى المنفرد بالإيجاد المستحق للعبادة دون غيره من الأنداد ، التي لا تخلق ولا ترزق ، وليس لها نفع ولا ضرر [3].

وقال ﷻ : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

يقول أبو حيان : " ذكر الله تعالى التباين بين من يخلق وهو الباري تعالى ، وبين من لا يخلق ، ومن عبد ممن لا يعقل ، فجدير أن يفرد بالعبادة من له الإنشاء دون غيره "[5].

---

(1) روح المعاني ٥ / ٤٦١ .

(2) سورة الأعراف الآية : ٥٤ .

(3) روح المعاني ١ / ٢١٥ .

(4) سورة النحل الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(5) البحر المحيط ٧ / ٢٢٥ .

المطلب الثاني

تقريب الحقائق الدينية

من المقاصد التي هدف إليها القرآن الكريم ، مـن وراء ذكـر النجـوم تقريب الحقائق الدينية .

فقد بعث النبي ﷺ في بيئة تهتم بالطبيعة ، وما فيها من شمس وقمر ، وسماء ، وأرض ، وليل ونهار ، فجاء القرآن المكي مليئا بالحديث عـن تلك المخلوقات الحسية ، مع اتخاذها مدخلا لشرح وسط بعض الحقـائق الدينية التي يشق على البعض تصورها .

والنجم احد المخلوقات الحسية ، تكرر ذكره في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرة ، أغلبها إن لم يكن كلها في القرآن المكي [١] .

وقد اتخذه القرآن الكريم وسيلة لإثبات صحة الوحي والرسالة والقرآن

قـال ﷻ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] .

---

(١) السور التي ورد فيها ذكر النجم هي : الأنعام ، الأعـراف ، النحـل ، الحـج ، الصافات ، الطور ، الرحمن ، النجم ، الواقعة ، المرسلات ، التكوير ، الطارق ، وقد ذكر السيوطي أنها كلها مكية ، إلا سورة الحج ، فإنها مختلطة بين المكي والمدني... الإتقان للسيوطي١/٥٩ ، ٦٠ .

(٢) سورة الواقعة الآيات : ٧٥ : ٨٠ .

ففي هذه الآية قسم من الله تعالى بمواقع النجوم ، فما هي مواقع النجوم ؟

يقصد بمواقع النجوم احد معنيين :

الأول : المكان التي ينزل فيها النجم ، ويحل بها أثناء سيره في الفضاء .

فمن المعروف علميا أن أقرب نجم إلى الأرض يبعد عن الشمس بمسافة بعيدة جدا ، ولا يمكننا مشاهدته ، وأقصى ما نشاهده مواقعه التي مر بها وغادرها ، إذ أن الضوء يصل إلينا بعد ، وعندما يصل إلينا يكون النجم قد غادر مكانه .

الثاني : المكان التي ينزل فيها النجم عندما يدخل مرحلة التهاوي والانهيار، أثناء أفوله ، حيث يفقد جاذبيته ، ويزول عن مكانه .

يقول د . زغلول النجار : " إنه نظرا للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجم السماء عنا ، فإننا لا يمكننا رؤية النجوم من على سطح الأرض أبدا ، ولا بأي وسيلة مادية ، وكل الذي نراه من نجوم السماء هو مواقعها التي مرت بها ، ثم غادراتها ، إما بالجري في الفضاء بسرعات مذهلة ، أو بالانفجار والاندثار ، أو بالانكدار والطمس" [1] .

وإقسام الله تعالى بهذه المواقع يعطي دلالة على عظمتها وشرفها .

([1]) تفسير الآيات الكونية : د . زغلول النجار ٤ / ١٢٨ .

يقول ابن عاشور : " وجعل مواقع النجوم مقسما به ؛ لأن تلك المساقط في حال سقوط النجم تذكر بالنظام البديع المجعول لسير الكواكب كل ليلة ، لا يختل ولا يختلف ، وتذكر بعظمة الكواكب وتداولها خلقة بعد أخرى ، وهذا أمر عظيم يستحق القسم به " [١] .

" وذلك لأن المنافع التي وضعها الله تعالى للنجم ، لا يتحقق للإنسان الانتفاع بها ، إلا إذا غادرت النجوم أماكنها البعيدة ، وانتظمت في مواقعها في السماء الدنيا ، فتكون علامات لاهتداء السائرين ليلا [٢].

وفي إقسام الله تعالى بمواقع النجوم ، وجعل التنويه بشرف القرآن الكريم جواب به إشارات وحقائق ، لمن يعلم ويفهم من ذوي العقول .

** **فالقرآن الكريم ذو منافع جمة** للناس في دنياهم وآخراهم كمنافع النجوم ، إن لم تفوقها أهمية ، كما وكيفا ، وقد عبر الله تعالى عن منافع القرآن بوصفه بالكريم ، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ .

يقول الألوسي : " ومعنى كون القرآن كريما ، أنه حسن ، مرضي في جنسه من الكتب ، أو نافع جم المنافع ، كيف لا وقد اشتمل على أصل العلوم المهمة في إصلاح المعاش والمعاد" [٣] .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤ / ٣٦١ .

(٢) التحرير والتنوير ١٤ / ١٢٢ .

(٣) روح المعاني للألوسي ٢٠ / ٢٧٢ ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود٦/٢٦٧.

** **إن العرب وغيرهم** من أصحاب المدنيات السابقة واللاحقة حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي كانوا يجهلون حقيقة مواقع النجوم ، ويعتقدون أنها مثبتات في السماء ، ولذا قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

يقول د . زغلول النجار: " كان اليونانيون القدامى يصرون على أن الأرض هي مركز الكون ، أو إن الشمس هي مركز الكون ، وان كلتيهما ثابتة ولا تتحرك ، وكان غيرهم من أصحاب المدنيات السابقة واللاحقة يؤمنون بديمومة الأرض والنجوم ، بل ظل الغربيون إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، يؤمنون بأن النجوم مثبتات بالسماء" [1] .

ويقول ابن عاشور : " العلم الذي يقتضي شرط (لو) الامتناعية عدم حصوله لهم ، إن جعلت ضمير (إنه) عائدا على القسم ، هو العلم التفصيلي بأحوال مواقع النجوم ، فإن المشركين لا يخلون من علم إجمالي متفاوت ، بان في تلك المواقع عبرة للناظرين" [2] .

وكذلك هي حقائق القرآن الكريم وخيراته ، ومنافعه التشريعية ، العقائدية ، والدينية والدنيوية ، يجهل أمرها كل من جحد بها ، والذي عمت بصيرته عن التفكير فيها .

** **أن النجم في مكانه الأصلي** يبعد عن أعين الناظرين ، لا يراه أحد ، ولا ينتفع به كائن ، حتى يتنزل في مواقعه .

([1]) تفسير الآيات الكونية ٤ /١٣٠ ، ١٣١ .

([2]) لتحرير والتنوير ١٤ / ٣٦١ .

وكذلك القرآن الكريم ، جعله الله تعالى في كتاب مكنون ، وهو اللوح المحفوظ ، في بيت العزة ، لا يمكن أن يطلع عليه إنس ولا جن ، حتى يأذن الله تعالى بنزوله على يد ملك من الملائكة المطهرين ، وهو جبريل عليه السلام .

يقول ﷻ : ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[1]

يقول الألوسي : " وصف آخر للقرآن الكريم ، وهو أنه كائن في كتاب مصون من غير المقربين من الملائكة – عليهم السلام – لا يطلع عليه من سواهم ، و المراد به اللوح المحفوظ " [2] .

** **والقرآن الكريم كلام الله تعالى** ، أنزله لينير للبشرية طريقها ، ويضبط مسيرة حياتها بما أنزله من أحكام وضوابط ، وحتى يتم ذلك اقتضت حكمته ألا ينزله جملة واحدة ، وأن ينزله على فترات ، بحيث تتواءم كل مجموعة منزلة مع حال الأمة وظروفها .

وكذلك النجم يحظى بعناية إلهية في تكونه وحركته ، وتناغمه مع الأجرام السماوية .

يقول سيد قطب : " يقول الفلكيون أن من هذه النجوم والكواكب التي تزيد على عدة ملايين نجم ، ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ، وما لايرى إلا بالمجاهر والأجهزة ، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه ،

---

(١) سورة الواقعة الآيتان : ٧٨، ٧٩ .

(٢) روح المعاني ٢٠ / ٢٧٣ .

هذه كلها تسبح في الفضاء الغامض ، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب مجال مغناطيسي لنجم من مجال مغناطيسي لنجم آخر ، أو يصطدم بكوكب آخر ، إلا كما يحتمل تصادم مركب في البحر الأبيض المتوسط ، بآخر في المحيط الهادي ، يسيران في اتجاه واحد ، وبسرعة واحدة " [1]

فهذه المواءمة بين القرآن الكريم ، ومواقع النجوم يهدف القرآن الكريم من خلالها إلى توصيل حقيقة للعرب ، تقوم على أنهم يقبلون على الانتفاع بالنجوم على الرغم من جهلهم بحقائقها ، فما لهم لا يقبلون على القرآن الكريم لينتفعوا به ، وقد أبان الله تعالى لهم كل حقائقه ؟! .

فهو كتاب كريم ، عظيم النفع ، لا يصل إليه إلا طاهر ، مبرؤ من كل نقص وعيب ، لا ينزل إلا بأمر رب العالمين .

وإثبات نفع القرآن الكريم ليس هو المحور الوحيد في قضية الوحي ، **فالوحي يقوم على أربعة أركان** : الموحي ، والموحى به ، والموحى إليه، ووسيلة الوحي .

وقد فصلت سورة النجم الحديث عن هذه الأركان الأربعة :

يقول ﷻ : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ

([1]) في ظلال القرآن ٧ / ١١٥ .

﴿ ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ١١ ﴾[1]

ففي الآية قسم بالنجم وهو في حال الهوى والانهيار على نفسه – مرحلة الشيخوخة بالنسبة للنجم – لإثبات صدق النبـــي ﷺ : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٣ ﴾ ،

فلم جعل الله تعالى حالة الأفول للنجم مدخلا للحديث عن الوحي ، وإثبات رفعة النبي ﷺ ؟

يمكن تقدير الإجابة على هذا السؤال من خلال أمرين :

١) **إثبات أن النجم لا يليق به أن يعبد** ؛ لأنه يفنى ويتغير ، والفنـــاء والتغير لا يليقان بمقام الألوهية .

يقول سيد قطب : " إن النجم مهما بان عظيما وهائلا فإنه لا يليـــق أن يكون معبودا ، فللمعبود الثبات ، والارتفاع ، والدوام "[2] .

ولعل في إثبات هذه الحقيقة في مقدمة الحديث عن الـــوحي ، دعـــوة للبحث عن الإله الحق في ثنايا ما جاء به الوحي .

٢) **أن النجم يهوي ويدخل في الفناء** ، لكي ينيـــر للنـــاس طـــريقهم الدنيوي ، أما النبي ﷺ فيرقى ويترفع عن هواه ، ويتقيد بالوحي لينفـــع

---

(١) سورة النجم الآيات : ١ : ١١ .

(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٣٤٠٦ .

الناس ، وينير لهم طريقهم في الدنيا والآخرة ، ولهذا جاء في الآية جناس بين قوله تعالى ﴿ هَوَىٰ ﴾ ، وقوله ﷻ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾.

كما أقسم سبحانه بالنجوم في مراحلها الأخيرة في قوله ﷻ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

لبيان أن نفع النجم ممتد حتى آخر لحظة من حياته ، فالجوار الكنس تعدل مكنسة الفضاء تزيل عن صفحة الفضاء ما علق بها ، وكذلك القرآن الكريم يزيل عن النفوس ما علق بها من أدران الشرك والرذائل ، والمعاصي ، والأهواء والشهوات ، ويقودها حتى آخر لحظات حياتها ، وبعد مماتها إلى أعلى عليين .

وكما كان المقسوم به في السورتين واحد وهو النجم ، كان جواب القسم واحد ، وهو الموحى إليه – عليه الصلاة والسلام ، فهو رسول مهتد ، غير ضال ، ولا متبع لهواه ، سليم في قواه العقلية التي تمكنه من استيعاب الوحي :

---

(1) سورة التكوير الآيات : ١٥ : ٢٨ .

- ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ ﴾ .

- ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ .

والذي جاء بالوحي ونزل به على الرسول ﷺ ، رسول كريم ذو قوة تساعده على تبليغ الوحي ، والتغلب على كل المعوقات ، بداءً من الهبوط من السماء إلى الأرض فيأتيه في أي وقت من ليل أو نهار ، صيف أو شتاء ، كما يمكنه التشكل بأي صورة كانت ، ملائكية أو بشرية.

قال ﷻ : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ وقال ﷺ : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾.

كما أن الملك الذي نزل بالقرآن الكريم ملك أمين ، ذو حصافة يستوعب بها ما كلف به ، قال ﷺ : ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴾ وقال ﷻ : ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ .

والحاصل أن القرآن الكريم كلام رب العالمين ، أوحاه إلى رسوله ﷺ ليس لبشر ، ولا شيطان إنسي أو جني ، دخل فيه .

قال ﷺ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ، قال ﷺ : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٧ ﴾ .

وقد يقول قائل : كيف يستقيم ربط هذه الحقائق بالحديث عن النجم في مراحله الأخيرة ، والعرب كانوا يجهلون هذه الحقائق العلمية المحيطة بالنجم ، فكيف يخاطبهم الله تعالى بما يجهلونه ؟

وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول : أن مقصود القرآن الكريم ترسيخ العقيدة ، وإثبات أركان الإيمان ، من الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، ويكفي فيه معرفة الحقائق الأولية عن النجم ، ولذا قال لهم :

﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (١).

فالله يعلم أنهم يجهلون كل حقائقه ، وإنما عني القدر المعروف لهم، والذي يمكن استنباط بعض المعاني منه مثل :

١) **أن النجم مرتبط بحياة العرب** ، لا سيما في أسفارهم ، ومعروف لهم سيره ونظامه ، بما يكفي للاهتداء به .

وكذلك النبي ﷺ ما انحرف عما عرفوه عنه ، وصاحبوه عليه طيلة أربعين سنة ، لذا عبر سبحانه بـ﴿ صَاحِبُكُمْ ﴾ بدلا من (نبيكم) .

فالصحبة : الملازمة الطويلة ، وقد عاشر المشركون النبي ﷺ طيلة أربعين عاما ، كانوا يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم ، وحضر معهم حلف الفضول ، وحرب الفجار ، وحكموه في وضع الحجر الأسود ، ولم يشاهدوا منه طوال هذه المدة إلا الصدق والأمانة ، والقول السديد والعقل الرشيد الراجح ، ولم يخف عليهم حاله بل كانوا مطلعين على سلوكه ، فلا عذر لهم في تركه ، وعدم اتباعه بعد البعثة ، لاسيما وأنه لم يطرأ عليه ضلال ولا غواية ، ولا جنون .

---

(١) سورة الواقعة الآية : ٧٦ .

٢) **أن النجم خاضع لأمر خالقه** ، وعابد له ، فلا يأبى الغروب إذا أمره خالقه بذلك ، وانتم أيها المشركون عليكم أن تقبلوا على وحي الله تعال ، والإقرار بعبوديتكم له .

قال ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [١]

وقال ﷻ : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [٢] .

وسجود النجوم يتأتى بعدة طرق :

يقول ابن عاشور : السجود يطلق على وضع الوجه على الأرض بقصد التعظيم ، ويطلق على الوقوع على الأرض مجازا مرسلا بعلاقة الإطلاق، أو استعارة ، فسجود نجوم السماء نزولها على جهات غروبها [٣]

وذلك كما قلنا بالهوى من أعلاها على أسفلها ، كما ينزل الساجد من علوه ، ويهبط إلى الأرض ، وقد يكون سجود النجم كناية عن الطاعة والخضوع لله تعالى ، ولا تعارض بين المعنيين .

---

(١) سورة الحج الآية : ١٨ .

(٢) سورة الرحمن الآية : ٦ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٣٦ .

٣) **أن النجوم يهتدي بها** في السفر والترحال ، وكذلك الرسول ﷺ يهتدي به في الدنيا الآخرة .

ومع هذه الحقائق الأولية ، جعل الله تعالى آي القرآن الكريم وما فيها مفتوحا لكل زمان ومكان ، فيمكن لكل إنسان في عصر الاكتشافات العلمية ، أن يجد في هذه الآيات من الحقائق ما يتلاءم ومكتشفاته التي تزيد على ما سبق .

- **أن النجم له مدار محدد** ، لا يحيد عنه ، سواء في سيره وحركته ، أو عند زواله وفنائه ، وكذلك النبي ﷺ ، لا يحيد عن الطريق المستقيم

- **إن إخبار النبي ﷺ** بهذه الحقائق العلمية التي يجهلها قومه ، بل البشرية كلها في زمانه ، يشهد أنه إنما يخبر من السماء، ويتنزل بأمر الله تعالى ، وهو إعجاز علمي لا ينكره احد .

يقول د زغلول النجار : " من الذي علم سيدنا محمد ﷺ كل هذه المعارف الدقيقة، لو لم يكن القرآن الذي أوحي إليه هو كلام الله الخالق ؟ ولماذا أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه القضايا الغيبية ، التي لم يكن لأحد علم بها في زمن الوحي ، ولا لقرون متطاولة بعد ذلك ؟! .

لولا أن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الناس سوف يأتي عليهم زمان يدركون فيه تلك الحقائق الكونية ، ثم يرجعون على كتاب الله

الخاتم يقرءونها .... ويشهدون أن القرآن كلام الله الخالق ، ويقرون بأن النبي ﷺ موصول بالوحي ، ومعلم من قبل خالق السماوات والأرض" [١]

(١) تفسير الآيات الكونية ٤ / ١٣٠ ، ١٣١ .

المطلب الثالث

الدعوة إلى إعمال العقل

من مقاصد القرآن الكريم من النجوم والعلوم الكونية ، دفع العقل إلى إمعان النظر والاستدلال فيما وراءها .

يشهد لهذا قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

وقال ﷻ : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2].

وليس المقصود بأصحاب العقول ما قد يفهم من ظاهر الآية ، من أنهم الذين يمتلكون عقولا فحسب ، ذلك بان جميع المخاطبين بالآية عقلاء متكلمون ، والآية تنص على التخصيص المفهوم من اللام ، ولذا يلزم تأويل العقل بما يتلاءم مع هذا التخصيص ، فيكون المراد الذين يستخدمون عقولهم في النظر والتفكر .

---

(1) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ .

(2) سورة النحل الآية : ١٢ .

يقول الرازي : " خص الآيات بهم لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه ، والاستدلال به على ما يلزمهم من توحيد ربهم ، وعدله وحكمه ، ليقوموا بشكره .

واعلم أن النعم على قسمين : نعم دنيوية ، ونعم دينية .

وهذه الأمور الثمانية التي عدها الله تعالى نعم دنيوية في الظاهر ، فإذا تفكر العاقل فيها ، واستدل بها على معرفة الصانع ، صارت نعما دينية، لكن الانتفاع بها من حيث أنها نعم دنيوية لا يكمل إلا عند سلامة الحواس، وصحة المزاج .

فكذا الانتفاع بها من حيث أنها نعم دينية ، لا يكمل إلا عند سلامة العقول ، وانفتاح بصر الباطن، فلذلك قال تعالى ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] .

فالإنسان يشعر وهو ينظر بعينه في السماء ، ببعض الظواهر التي لا يعرف لها سببا .

فلماذا تبدو بعض النجوم في السماء ثابتة ، لا تغادر مكانها ، في حين يبدو البعض متحركا ؟

ولماذا يضيء النجم تارة ، ويلمع تارة أخرى ؟

وما الذي يمسك النجوم في السماء ، ويمنع سقوطها نحو الأرض ؟

---

(1) تفسير الرازي ٤ / ١٧٤ .

إن هذه الظواهر تدفع العقل إلى محاولة فهمها وتفسيرها ، وفي سبيل ذلك يقوم بأعمال عديدة .

فهو يقوم بالنظر والتأمل ، وهو قرين النظر الحسي ، فالحواس تنقل للعقل ما تراه ، ليقوم بدوره في النظر الذهني العميق ، ولذا دعا سبحانه وتعالى إليه ، وجعله وسيله لفهم الكون .

قال ﷻ : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

قال ﷺ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (٢) .

يقول الراغب : " النظر : تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرؤية " (٣) .

كما يقوم العقل بالتفكر الذي يقصد به " فرك الأمور وبحثها ، طلبا للوصول إلى حقيقتها " (٤) والمشهور أنه " ترتيب أمور معلومة للتوصل إلى مجهول " (٥) .

---

(١) سورة يونس الآية : ١٠١ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٥ .

(٣) المفردات للراغب ص٣٨٤ .

(٤) المفردات للراغب ص٤٩٧ .

(٥) روح المعاني للألوسي ج٧ ص٩٧ .

وفي هذه العملية يعني العقل بالتحليل لما يصل إليه من معطيات ، وتقليبها على جميع وجوهها ، والموازنة بينها ، ليصل إلى فهم لها ولقوانينها ، ونواميسها ، ليتمكن من الانتفاع بها .

قال ﷻ : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وعندما يصبح التفكير سمة أساسية للفرد ، تتوفر صفة تؤهله لأن يكون من أولي الألباب " أي من ذوي العقل الخالص ، الذين لا يتأثرون بالأوهام الناشئة من الألف والحس " (٢) ، فيغوصون في أعماق الأمور ، ولا يتأثرون بظواهرها .

قال ﷺ في سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣) .

يقول الرازي : وأعلم انه تعالى ذكر هذه الآية في سورة البقرة ، وذكرها هنا أيضا ، وختم هذه الآية في سورة البقرة بقوله ﷻ ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) . وختمها ها هنا بقوله : ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

---

(١) سورة الجاثية الآية : ١٣ .

(٢) روح المعاني للألوسي ج٧ ص٦٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٩٠ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١٦٤ .

وذكر في سورة البقرة مع هذه الدلائل الثلاثة خمسة أنواع أخرى ، حتى كان المجموع ثمانية أنواع من الدلائل .

وها هنا اكتفي بذكر هذه الأنواع الثلاثة وهي : السموات ، و الأرض ، والليل والنهار ، فلم قال هنا ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وقال ها هنا ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ؟ (١) .

ثم أجاب قائلا : عن العقل له ظاهر ، وله لب ، ففي أول الأمر يكون عقلا ، وفي كمال الحال يكون لبا " (٢) .

الثمار المترتبة على تفعيل هذا المقصد

إن إعمال العقل بصورة مستمرة في الآيات الكونية ، يكون عند المرء ملكة البحث والنظر الدائم في الأدلة ، والظواهر الحسية ، والأخبار والروايات ، وعدم الاكتفاء بالسماع ، والركون إلى التقليد ، ذلك أن النواميس الكونية تجري في دقة عجيبة ، ونظام لا يختل ، فيتعود العقل على دقة النظر ، وانضباط الأحكام ، وهو ما يعود عليه بفوائد عديدة ، تظهر أهمية هذا المقصد القرآني .

- **فمن الناحية العقائدية** : يتمكن المرء من خلال التفكر في الظواهر الكونية إلى التوصل على أن هذا الكون لا يمكن أن يوجد صدفة ، أو

---

(١) تفسير الرازي ج٩ ص٤٥٨ .

(٢) تفسير الرازي ج٩ ص ٤٥٨ .

عبثا ، أو يحكم بأكثر من إله ، قال ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1] .

ولذا قال علماء الأصول " إن العقل أساس النقل "[2] لأن العقل هو الذي يدلل على وجود الله ، وعلى إمكانية الوحي الإلهي للبشر ، ثم يعزل العقل ليتلقى عن الوحي ما يخبر به من حقائق وتشريعات ، وعلى هذا الأصل وضع الرازي قاعدة للسلوك إلى الله تعالى فقال : " السالك إلى الله لابد له في أول الأمر من تكثير الدلائل ، فإذا استنار القلب بنور معرفة الله ، صار اشتغاله بتلك الدلائل كالحجاب له ، عن استغراق القلب في معرفة الله [3]

والدلائل التي يعنيها الرازي : هي الآيات الدالة على وجود الله ، فوظيفتها تعريف المرء بالله ، فإذا عرفه قل دورها ، وصار على المرء أن يستغرق في معرفة الله .

وبهذه القاعدة علل الإمام الرازي الفرق بين قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وقوله سبحانه في سورة آل عمران ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ، فيقول : " إذا عرفت هذه القاعدة ، فذكر في سورة البقرة ثمانية أنواع من الدلائل ، ثم أعاد في هذه السورة ثلاثة أنواع منها ،

---

(1) سورة ص الآية : ٢٧ .

(2) علم أصول الدين ، علم أصول الفقه ، العقل والنقل ، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية : د . حسن حنفي ص١٠١ .

(3) تفسير الرازي ج٩ ص ٤٥٩ .

تنبيها على أن العارف بعد صيرورته عارفا ، لابد له من تقليل الالتفات إلى الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول ، فكان الغرض من إعادة ثلاثة أنواع من الدلائل وحذف البقية التنبيه على ما ذكرناه " [١] .

١- **ومن الناحية التشريعية** : يمكن للعقل فهم حكم القرآن التشريعية ، وأسراره ، وعلله ، وعواقب الامتثال ، وعاقبة الإعراض ، مما يسهل عليه الانقياد ، والتسليم ، ومن ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٢] .

٢- **ومن الناحية الأصولية** : يمكن تطوير مفهوم الكليات الخمسة، من مجرد حفظ الضروريات الخمسة وهي : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال إلى مفهوم التنمية والتطوير والتحسين ، فتنتقل ضرورة حفظ العقل من مجرد الامتناع عن تناول المسكرات ، ومذهبات العقل إلى ضرورة تنمية العقل ، بتحصيل العلوم والمعارف، والتأمل .

٣- **وفي مجال السنن الإلهية** : يمكن استنباط السنن الحاكمة للكون، سواء كانت كونية أو اجتماعية ، أو مادية ، بملاحظة الظاهرة الحاصلة ، وتتبع مثيلاتها ، حتى نصل إلى قاعدة عامة ، نلاحظ تكرارها مع تكرار أسبابها ، ونرقب ثباتها واستمراريتها ، بحيث تصبح سنة عامة يمكن أن نطبقها عمليا .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٧٩ .

وهذا ما برع فيه العرب والمسلمون الأوائل الذين فهموا مقاصد القرآن الكريم ونقلوها إلى الواقع العملي .

يقول جوستاف لوبون : " إن أهم ما اتصفت به مدرسة بغداد ، هو روحها العلمية الصحيحة ، التي كانت سائدة لأعمالها ، وكان استخراج المجهول من المعلوم ، والتدقيق في الحوادث تدقيقا مؤديا إلى استنباط العلل من المعلولات ، وعدم التسليم بما لا يثبت بغير التجربة . مبادئ قال بها أساتذة من العرب ، وكان العرب في القرن التاسع من الميلاد حائزين لهذا المنهاج المجدي ، الذي استعان به علماء القرون الحديثة ، بعد زمن طويل للوصول إلى أروع الاكتشافات" [1] .

ومن خلال هذا المنهج ، الذي يقوم على رصد الواقع وتتبعه ، ووضع النظريات من خلاله ، أمكن للعلماء وضع أسس علمية لكيفية الاهتداء بالنجوم .

وهذا ما لفت القرآن الكريم الأنظار إليه ، يقول ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

فاستقراء أحوال النجوم ودراستها يمكن من الوصول إلى خطوات عملية للاستفادة منها .

([1]) حضارة العرب لـــ جوستاف لوبون ص٤٣٦ .

([2]) سورة الأنعام الآية : ٩٧ .

المطلب الرابع

الامتنان على العباد

من المقاصد التي هدف إليها القرآن الكريم من وراء حديثه عن النجوم ، إظهار واسع نعمة الله تعالى على عباده ، وكريم إحسانه ، وهو ما يسمى بالتمنن .

قال ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

يقول ابن عاشور : ﴿ لَكُمُ ﴾ متعلق بـ ﴿ جَعَلَ ﴾ والضمير للبشر كلهم فلام ﴿لَكُمُ ﴾ للعلة ، وقوله ﴿ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا ﴾ علة ثانية ، وقد دلت اللام الأولى على قصد الامتنان ، فلذلك دخلت على ما يدل عليه الضمير الدال على الذوات ، واللام الثانية دلت على حكمة الجعل، وسبب الامتنان وهو ذلك النفع العظيم [2] .

وقد أحيطت نعمة الله تعالى بأفضال تجعلها ترقى من رتبة النعمة إلى المنة ، وأهم هذه الأفضال :

١) **إسداء النعمة وإيصالها إلى المنعم عليه بالفعل لا بالقول .**

٢) **وصول النعمة بلا تعب ولا نصب .**

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٩٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٥ / ٤٩ .

" ما يمن الله ﷻ به مما لا تعب فيه ولا نصب " [1].

٣) **التفضل بها ابتداء** دون أن تستتبع معروفا سابقا أو ردا لجميل .

٤) **قطع حاجة المنعم عليه** ، فإن نقصت لم تكن منة ، ولذا قيل : المنة القطع .

يقول الزمخشري : " النعمة التي لا يستثيب مسديها من نزلها إليه ، واشتقاقها من المن وهو القطع ؛ لأنه إنما يسديها ليقطع بها حاجته لا غير ، من غير تعمد لطلب مثوبة [2].

٥) **أن لا يلحق المنعم عليه بسببها بلية أو عاقبة سوء** .

يقول اللآوسي : " وسميت النعمة منة ؛ لأنه يقطع بها عن البلية " [3]

وأكثر ما يوضح منة الله تعالى على العباد بخلق النجوم ، أنه خلقها بصورة تجعلها لا تلحق بالعباد أي بلية ، لذا قرن الحديث عن النجوم بالتعهد بالحفظ .

قال ﷻ : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾ [4]

---

(1) لسان العرب ١٣ / ٤١٥ .

(2) الكشاف ٦ / ٣٨٥ .

(3) روح المعاني ٣ / ٢٩٩ .

(4) سورة الطارق الآيات : ١ : ٤ .

فهذه الآية تتحدث – كما سبق الذكر[١] – عن ما يسمى بالنجوم الراديوية ، وهذه النجوم تصدر موجات راديوية مصاحبة بإشاعات من أبرزها الأشعة السينية .

جاء في موسوعة أكسفورد : تتكون الأشعة الكونية في الفضاء بسرعة الضوء تقريبا ، وتحمل طاقة كبيرة بسبب سرعتها الهائلة ، ويعتقد العلماء الفلكيون أن الكثير من الأشعة الكونية يصدر عن نجوم متفجرة[٢].

" **وتمتاز هذه الأشعة السينية بفائدتها الكبيرة** ، فتستخدم في علاج الأمراض ، والتفتيش الأمني ، وعمل الأشعة للمساعدة في تشخيص الأمراض ، وتصوير العظام ، إلا أن الإفراط في استخدامها يؤذي الجسم" [٣].

وهنا يطرأ تساؤل ، إن هذه الأشعة القادمة من النجوم تضرب الأرض ليلا ونهارا – أو كما عبر القرآن الكريم عنها بالطارق – مما يجعل الناس عرضة للتعرض لها باستمرار .

فهل يمكن للنعمة التي في النجوم أن تنقلب نقمة وبلية ؟

لا ..... لأن الله تعالى أحاط كوكب الأرض بالغلاف الجوي الملئ بغاز الأوزون الذي يمتص هذه الأشعة ، ويعيد إرسالها إلى الفضاء [٤].

---

(١) راجع صفات النجوم ص

(٢) موسوعة اكسفورد ١ / ١٧١ .

(٣) موسوعة اكسفورد ١/ ١٧٢ : ١٧٤ .

(٤) موسوعة اكسفورد ١ / ١٧٣ ، ٧ / ١٩٥ .

إن هذه الحقائق تظهر لنا المناسبة بين المقسم بـه والمقسـم عليه ، في قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾ (١)

فلما كانت النجوم تطرق الأرض بأشعاتها ، طرقا يسبب ثقبا في طبقة الأوزون المحيطة بالأرض ، والحافظة لهـا مـن هذه الأشعة ، أشار سبحانه وتعالى أنه جعل على كل نفس حافظ يحفظها من الأذى والضرر، فلا يصيبها إلا ما قدر لها .

يقول ابن القيم : " المقسم عليه ها هنا حال النفس الإنسانية، والاعتناء بها ، وإقامة الحفظة عليها ، وأنها لم تترك سـدى ، بل قد ارصد عليها من يحفظ عليها أعمالها ، ويحصيها فأقسم سبحانه أنه ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة " (٢)

وهذا الحفظ يتم بأمر الله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الطارق الآيات : ١ : ٤ .

(٢) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٦٤ .

(٣) سورة الرعد الآية : ١١ .

فالملائكة تحفظ الإنسان من أي ضرر أو أذى يمكن أن يلحقه ، من أي شيء ، وصل من أي اتجاه ، إلا ما كان من قدر الله وأمره فإنه ينفذ

يقول الماوردي :" المعقبات : الملائكة ، وأريد بحفظهم له وجهان :

أحدهما : يحفظون حسناته وسيئاته بأمر الله .

الثاني : يحفظون نفسه ، وعلى هذا يؤل قوله تعالى : ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [1] .

والحاصل : أن الله تعالى أحاط نعمة النجوم ، بوسائل حفظ تحفظ الأرض ، وتحفظ كل نفس من أي ضرر أو بلية .

أما وجه الامتنان : فهو دفع الناس إلى محبة الله تعالى ، والإقبال على طاعته ، وشكر نعمته التي أسداها لعباده .

وبهذا تتضح المقاصد العامة من ذكر النجوم في القرآن الكريم

---

(1) تفسير الماوردي بتصريف يسير ٣/ ٩٩ .

الخـــــاتـــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام علـى أشـرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــــــــد ؛؛؛؛

فقد تناولت في بحثي هذا النجوم من خلال القرآن الكريم ، دراسـة موضوعية ومقاصدية ، **خرجت من خلالها بعدة نتائج كالتالي :**

١) أهمية التفسير العلمي في فهم آيات القرآن الكريم ، مـع التقيـد بالضوابط ، والقواعد التي تتماشى مع أهداف القرآن الكريم ، وتحفظ له قدسيته .

٢) أن النجوم والكواكب يفترقان تماما في طبيعة كل منهمـا ، ومـا حدث بينهما من لبس كان وليد اللغة ، حيث أن الكواكب كلمة حبشـية ، ادخلها العرب دون أن يعرفوا عنهـا إلا صـفاتها المشـابهة للـنجم ، فاعتبروها مرادفة للنجم .

٣) أن هذا اللبس لم يمكن إزالته ، إلا بعد تطور البحـث العلمـي ، وأدوات المعرفة العلمية ، في القرن الثاني الهجري .

٤) عدم التسليم بكل ما يذكره المفسرون عن النجوم مـن حقـائق علمية .

٥) إن ما وقع في التفسير من خطأ ، يجب أن يقتصر فهمه على انه خطأ من المفسرين ، وألا ينسحب ذلك على إساءة الفهم بكتاب الله ؛ لأنه كتاب محكم في تعبيراته .

٦) إن الأدق في تعريف النجم أن ينسب إلى مكانه ، فيقال جرم سماوي يضيء ليلا ، كما ورد في صفاته في القرآن الكريم .

٧) إن من أساليب القرآن الكريم التربوية ، توظيف الأمور الحسية ، لتوصيل الحقائق والمفاهيم المعنوية ، فمن خلال الحديث عن النجم أمكن تقريب بعض الحقائق عن الوحي والنبوة والقرآن ، وإثبات ربوبية الله تعالى وألوهيته .

٨) أن مخاطبة العقل تعد مدخلا أساسيا لمعرفة الله تعالى ، وتحسين المفاهيم ، لكن لا يمكن الاعتماد عليه بصورة مستقلة بعيدا عن الوحي .

وفي ختام هذا البحث أوصي بما يلي :

١- تنقية كتب التفسير من كل ما ثبت تعارضه مع العلم الحديث ، التي ثبتت نظرياته ، وتأصلت، بصورة جازمة ، يستحيل معها التغيير ، حتى لا يستغل الطاعنون ، والحاقدون ما وقع فيها من خطأ لتصويب سهامهم نحو القرآن الكريم .

٢- تطوير طرق التعليم في المدارس والجامعات ، بصورة تجمع بين التلقي ، والتحليل العقلي ؛ لأن الله تعالى جعل تنقية العقل مقصدا وضرورة ، وأوكل إليه مهام عديدة ، فلابد أن يدرب منذ نشأته على كيفية القيام بذلك ، بالتأمل ، والتفكر ، والتدبر .

٣- أن يعني الباحثون باستخراج مقاصد القرآن الكريم في آياته وسوره من خلال دراساتهم التحليلية ، والموضوعية حتى يمكن تعميق فهم القرآن الكريم ، وتحويله لمنهج هداية ، يقود الناس في النواحي التشريعية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية والتعليمية .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

مراجع البحث

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب التفسير وعلوم القرآن :

- الإتقان في علوم القرآن للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت ٩١١ ، حققه فواز أحمد زملى ، ن / دار الكتاب العربي بيروت – لبنان .

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت ٩٨٢ ه ، طبع دار التراث العربي – بيروت

- البحر المديد

- البحر المحيط لأبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، ن / مكتبة ومطابع النصر الحديثة – الرياض .

- التبيان في أقسام القرآن للعلامة شمس الدين محمد بن أبي المعروف بابن قيم الجوزية ت٧٥١ه ، مكتبة المتنبي – القاهرة .

- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس .

- تفسير الآيات الكونية : د / زغلول النجار ، الطبعة الأولى ، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة .

- تفسير المنار المعروف بتفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة

القلموني الحسيني ت ١٣٥٤ه ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م .

- تفسير الشعراوي للشيخ / محمد متولي الشعراوي ، أخبار اليوم قطاع الثقافة .

- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، ن / دار الكاتب العربي للطباعة و النشر سنة ١٣٨٧ه .

- جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية بيروت .

- روح البيان للشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء ت ١١٢٧ ه ، طبع دار الفكر - بيروت .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ت ١٢٧٠ه ، تحقيق علي عبد الباري عطية ، طبع دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥

- زهرة التفاسير للإمام الجليل محمد أبو زهرة ت ١٩٧٤م ، طبع دار الفكر العربي .

- زاد المسير في علم التفسير للإمام / جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، طبع دار الفكر .

- في ظلال القرآن الأستاذ / سيد قطب - دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ه - ١٩٧٥م .

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ت ١٢٥٠ ، طبع دار الفكر بيروت ، الطبعة الثالثة .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للإمام / جاد الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ بدون طبعة .

- كيف نتعامل مع القرآن العظيم : د . يوسف القرضاوي ، دار الشروق

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، ن / محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، طبعة أولى ٢٠٠١م .

- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ت٣١١ ، تحقيق دكتور/ عبد الجليل عبده ، عالم الكتاب بيروت ، طبعة ١٤٠٨ .

- مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، مكتبة الإيمان المنصورة ، ن / دار الغد العربي الطبعة الأولى ١٤١٣ ه - ١٩٩٢م .

- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ ه ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت - لبنان .

- النكت والعيون المعروف بتفسير أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير " بالماوردي " ، تصنيف السيد عبد المقصود الماوردي ت ٤٥٠ ه ، طبع دار الكتب العلمية .

ثالثاً : كتب اللغة والمعاجم :

- أساس البلاغة للزمخشري، تقديم د / محمد حجازي ، إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة .
- دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ، دائرة المعارف بيروت – لبنان .
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القدسي ، طبع دار الكتب العلمية .
- القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ن / مؤسسة الحلبي .
- الكتاب لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م .
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت٧١١ ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ، طبع دار المعارف
- المعجم الوسيط ، إصدار مجمع اللغة العربية ، الطبعة الثالثة
- معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين ت ٣٩٥ه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبع دار الفكر ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م .
- معجم اكسفورد العربية – مجلس أكاديمي برئاسة حسن مرضي حسن ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ه – ١٩٩٩م .
- معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس .

خامساً : كتب أخرى :

- الدعوة إلى الله من خلال منظور العلم في القرآن الكريم : د . سناء احمد أمين ، الطبعة الأولى ، طبع دار الفكر العربي .
- منهاج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ، تقديم وتحقيق د / محمود قاسم ، ن / مكتبة الأنجلو المصرية .
- علم أصول الدين – علم أصول الفقه – العقل والنقل ، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة الإسلامية د / حسن حنفي
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للحافظ أحمد بن علي الحكمي (ت١٣٧٧هـ) تحقيق عمر بن محمود أبو عمرو – دار ابن القيم – الدمام – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

مواقع النت

-إسهامات علماء المسلمين في الفلك www.islamstory.com

-والسماء والطارق – استمع إلى صوت النجم الطارق

www.youtube.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمـــــــــــــــــة	٥١٩
الفصل الأول:التعريف بالنجوم وبعض المصطلحات المتصلة بها	٥٣١
المبحث الأول : التعريف بالنجوم	٥٣٣
المطلب الأول : تعريف النجم	٥٣٣
المطلب الثاني : النجم عند المفسرين	٥٣٥
المطلب الثالث : التعريف العلمي للنجم	٥٣٦
المبحث الثاني : المصطلحات ذات الصلة بالنجوم	٥٣٧
المطلب الأول : الكواكب	٥٣٧
المطلب الثاني : البروج	٥٦١
المبحث الثالث : صفات النجم في القرآن الكريم	٥٦٧
المبحث الرابع : منافع النجوم	٥٨٥

الفصل الثاني : المقاصد القرآنية من ذكر النجوم	٥٩٣
تعريف المقاصد	٥٩٥
المطلب الأول : إثبات ربوبية الله سبحانه وتعالى	٥٩٩
المطلب الثاني : تقريب الحقائق الدينية	٦٠٥
المطلب الثالث : الدعوة إلى إعمال العقل	٦١٩
المطلب الرابع : الامتنان على العباد	٦٢٧
الخاتمـــــــــة	٦٢٣
فهرس المراجع	٦٣٧
فهرس الموضوعات	٦٤٣